الحب على شُرفات الموت

اسم الرواية	الحب على شُرفات الموت
تأليف	هبة جمال أسعد
المراجعة اللغوية والتدقيق	طه عبدالرءوف سعد
تصميم الغلاف	قسم الجرافيك بدار الوليد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية	2016 / 26045
الترقيم الدولي	978-977-6560-16-1

الطبعة الأولى **2017**

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: 2256870

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: 2236728

مكتبة النوري - أمام البريد - ت: 2210314

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: 2228222

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: 2456786

- فرع ثاني - ت: 2222373

دار الوليد للدراسات والنشر والترجمة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: 00963/11/2235401 ص.ب 34825

مصر - القاهرة - التجمع الخامس - الحي الأول - بناية 152 - هاتف: 01148745162

لبنان - تليفون: 434186/ 05 - 652241/ 03 - ص.ب 3043 الشويفات

daralwaled@yahoo.com

حقوق الطبع محفوظة

تحذير: جميع الحقوق محفوظة لدار الوليد للدراسات والنشر والترجمة وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية أو نقله بأية وسيلة أخرى أو تصويره أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

الحب على شُرفات الموت

هبة جمال أسعد

الوليد
للدراسات والنشر والترجمة

تطلب المنشورات من دور النشر والمكتبات التالية

البلد	أسماء المكتبات
مصر	دار الكتاب العربي: **25** شارع عبدالخالق ثـروت (القاهـرة) - مكتبات الشـروق - مكتبات ديـوان شركة الشرق للمكتبات - مكتبات مؤسسة الأهرام - مكتبـات أخبـار اليوم- مكتبة منشأة المعارف (الإسكندرية)- مكتبات دار الفاروق (هايبر **6** أكتوبر) - مكتبات (أ)- مكتبة الكتب خان - مكتبة الخياط (الإسكندرية)- مكتبة دار الحديث (أسوان) - كتابيكو- مكتبات فكرة
ليبيا	طرابلس: المكتبة العلمية - المكتبة العربية - مكتبة السلام - دار الوليد - دار المعرفـة - مكتبـة **17** فبرايـر (بنغازي)- دار الجيـل (بنغازي) - مكتبـة الشعـب (مصراتـه)
تونس	إداريــات ومعارف سوسة - شركة كتبكم تونس - المركز التونسي للكتاب - دار المعرفــة - مكتبة تــونــس - دار الجيل - مكتبة الكتاب - سو بيس - مكتبة نومام
الجزائر	مكتبة العزة والكرامة (وهران) - مكتبات العزة والكرامة بالعاصمة الجزائر وسائر فروعها
المغرب	الدار العالميـة - دار الإنمــاء الثقافي - دار الثقافة - دار الأمان - مكتبة الألفيـة الثالثـة- وراقــة المبــادرة - دار إحياء العلوم الزاهرة - الناشر الأطلسي - وراقة الجنوب - مكتبة فرنسا- مكتبة باريس
السعودية	مكتبات الشواف (الرياض/ الدمام) - مكتبات جرير - مكتبات العبيكان - مكتبــات تهــامــة - مكتبـــات الرشــد - دار الوراق - مكتبة المتنبي (الدمام) - كنوز المعرفة (جدة) - روائع المعرفة (جدة)- المكتبة التراثية
الإمارات	مكتبــة زين الــمـعــانــي (دبي) - مكتبات دبــي للتوزيــع - المكتبة التجاريــة (العين) - مكتبات جريـــر- البرج ميديا للنشر والتوزيع (أبو ظبي)
الكويت	مكتبات ذات السلاسل - دار الفكر الحديث - مكتبة العجيري - مكتبة الرسالة - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف- مكتبات جرير - دار أفاق
سلطنة عُمان	مسقط: مكتبات جرير - أحمد ناصيف **0096892339307**
البحرين	المكتبة الوطنية (المنامة) - مكتبات جرير
العراق	دار الكتب العلمية (بغداد) - دار المدى للعلوم والثقافة (أربيل) - دار التفسير (أربيل) - مكتبة هورمان (أربيل) - مكتبـة برايتـي (أربيل) - المكتبة القانونية - مكتبة النهضــة (بغداد)- مكتبـة السنجـري (الموصل) - دارالزمـان (أدهوك) - مؤسسة المصباح (بغداد)- مكتبة المعرفة (باب المعظم)
الأردن	مكتبة دنديس -دار أسامة -مكتبة الفرسان -دار صفحات -كشك الثقافة العربية حسن أبو علي - دار جملون
فلسطين	مكتبة دنديس (الخليل) - مكتبة القدس (القدس الشريف) - دار العماد للنشر (الجليل) - دار الجندي (القدس)
السودان	مكتبـات القاضي (الخرطوم -أم درمان) - مكتبــة الدار البيضاء (أم درمان) - وادي النيل للتنمية البشرية (الخرطوم)
لبنان	شركة الشرق الأوسط - النيل والفرات كوم

الـمـوزع الحصــري
دار الكتاب العربي

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: 2235401 ص.ب 34825
مصر - القاهرة - 52 شارع عبدالخالق ثروت - شقة 11 تليفون: 23916122 - فاكس: 23933671
لبنان - تليفون: 434186 / 05- 652241 / 03 - ص.ب 3043 الشويفات
darelkitab@yahoo.com - daralwalid@yahoo.com - info@darketab.com
www.darketab.com http: //www.facebook.com/groups/darketab
http: //twitter.com/darelkitab http: //www.youtube.com/darelkitab

الإهداء

لم يمنحْني الحُبُّ بمقابل، هو ذلك النَّهْرُ العطوفُ الذي تنحدِرُ إليهِ نفسي ليضُمَّها بَعدَ كلِّ سقوطٍ، فيمسحُ بعذوبتهِ على جراحي بلطفٍ، ويبثُّ في روحي من أيامِهِ ما يكفيني لأستمرَّ مستندةً على ذراعيهِ اللّتينِ تستقبلاني دوماً فتُجهِّزاني في كلِّ مرةٍ لأُكمِلَ معركتي في طريقي إلى المجد . . إلى أبي.

إلى الشمس التي رأيتَها عندما اختلستُ النَّظَرَ لأوَّلِ مرَّةٍ إلى هذه الدنيا . . أمي .

إلى ذلك الدُّعاء المُستجاب عقب شرب ماء زمزم، تلك الشُّعلة التي أنارت دنياي منذ سنواتي العَشر . . أختي.

في الطائرة

في بداية خريف عام ألفين وثمانية، انطلقت إحدى الطائرات متوجهةً من مطار دمشق الدولي نحو مطار لندن، وكانَ على متنها أربعةُ شبانٍ عرب، يجلسون على مقاعد متجاورة، ويتلألأ الفرحُ الممزوج بالأملِ في أعينهم المتشوقة للوصول وهم متطلِّعون إلى مستقبلٍ أفضلٍ يملؤهُ النجاح.

حيثُ كانت سارة الفتاة الفاتنة ذات البشرةِ البيضاء، والعينين السوداوين والشعر الأسود الطويل تجلس بجانب صديقتها ريم ذات البشرة السمراء والعينين الزرقاوين، فقد كانتا صديقتين منذُ الطفولة.

كانت الفتاتان تتحدثان بغمرة من الفرح والسرور

سارة: كم اشتقت إلى لندن، لم يخطر ببالي أن أراها مرةً أخرى.

ريم: لكن كما أخبرتك، لا تخبري أحدًا بأنك عربية حتى تتجنبي التمييز، فأنت تتكلمين الإنكليزية بطلاقة، لن يميزوا بأنك عربية ما لم تخبريهم.

نظرت سارة من نافذة الطائرة مبتهجة، نبضاتُ قلبها المتسارعةِ تكادُ أن تصلَ قبل الطائرة.

- لا تقلقي فأنا أعرف كيف أتصرف.

على المقعدين المجاورين لسارة وريم، كان يجلس الشاب علي،

خطيب ريم، شاب وسيم جميل الوجه ببشرته الحنطية، وعينيه البنيتين، ووجهه الممتلئ قليلًا، جسده مفتول العضلات، يجلسُ بجانبه صديقه سامر أسمر البشرة، نحيل الوجه هزيل القامة.

نظرت ريم باتجاه علي، وبريقُ الحبِ يلمعُ في عينيها «عزيزي كم بقي لنا من الوقت حتى نصل».

التفتَ علي نحوها مُبتسمًا وهو يبادلها نفس النظرات الغراميِّة «نصف ساعة تقريبًا يا جميلتي».

لم يكن الشبان يعلمونَ ما ينتظرهم في لندن، التي كانت بالنسبةِ إليهم الحلم المحقق الذي سيجعلهم من أفضل الأطباء في المستقبل ففي تلكَ المدينة سيداعبُ الموتُ أرواحهم الساذجة وسيحاكُ الكفن ليغطي عقولهم المتأملة، وقلوبهم البسيطة قبل أجسادهم الفتية.

اجتماع سري

في أحد شوارع لندن وفي أحد المنازل، كان يجلس أربعةُ شبان صهاينة طوال القامة، مفتولوا العضلات وهم إدوارد الشاب الوسيم صاحب الوجه المستدير والعينين الواسعتين بحريتي اللون، جون الشاب البدين الأشقر وهو قائد المجموعة، وبيير وليون شقيقان يملكان شعرًا أشقر طويلًا وبشرة بيضاء، كان إدوارد يسكب النبيذ في الكؤوس، وجون يخاطبهم بصوته الغليظ «لقد اجتمعنا هنا لأطلعكم على المخططات الجديدة، فقد تلقيت الأوامر من الإدارة العليا، سوف يبدأ الدوام في كلية الطب البشري ويوجد نخبة من الطلاب العرب يدرسون في الجامعة وعلينا قتلهم جميعًا لكن بالتدريج وبتباعد بين الأوقات حتى لا نلفت الأنظار».

أنزل إدوارد قارورة النبيذ من يده بقوة على الطاولة، ورد بحماس وعيناه يملؤهما الحقد «نحن لها...متى سنبدأ».

جون «هدئ من روعك إدوارد، سوف أبدأ أنا العملية الأولى.... عندما يحين موعد عملياتكم سوف آتي إلى كلٍّ منكم وأطلعُهُ على مهمته».

بيير «كم من الوقت بين العملية والأخرى؟».

جون يسند ظهره على الكرسي ويحملق فيهم بعينيهِ الكبيرتين «شهر

تقريبًا وربما أكثر» ثم نظرَ إلى إدوارد«حاول أن تحصي لنا أعداد الطلاب العرب في جامعتك بما أنه غدًا سيبدأ دوامك».

كان إدوارد مندفعًا، كان ابنُ أحدِ القادة الصهاينة، تربى على مبادئِ ومعتقدات الحركة الصهيونية، لكنهُ لم يكن يعلمُ أيضًا أن هذا الاندفاعَ ونار الحقد التي كانت تحركهُ وتدفعهُ لقتلِ الأبرياءِ ستندلعُ لتحرقَ قلبهُ القاسي المتجبر لتجعلَ منهُ شابًا ضعيفًا محطم الفؤاد.

لقاء

وصل الشبان العرب إلى المطار بوجوه مبتهجة وقلوب سعيدة، وكانت سارة تلتفت حولها لترى المطار بكل جوانبه، تتأمل أجواء اللقاء والوداع بين القادمين وذويهم والمسافرين، وقالت بحزن«لقد مضت سبعُ سنوات منذ كنت هنا آخر مرة أنا ووالدي رحمه الله».

وضعت ريم يدها على كتف صديقتها وضمتها قائلة «هوِّني عليك يا عزيزتي وابتسمي، فحياة جديدة تنتظرك بعيدًا عن ظلم زوج والدتك الوضيع».

أشار سامر بيده إلى فتاة شقراء جميلة قادمة نحوهم مسرعة والفرح يملأُ وجهها، وقال بابتسامة عريضة: «انظروا إنها جوانا».

ركضت ريم باتجاهها وعانقتها عناقًا طويلًا، متمتمين لبعضهما بكلام الشوق والحب، ثم عانقت سامرًا وعليًّا.

قامت ريم بتعريفها على سارة وهي تضع كل يد من يديها على كتف صديقة من صديقتيها قائلة «سارة هذه جوانا صديقتنا من لبنان، وهي مالكة المنزل الذي سنقيمُ فيه».

ابتسمت سارة وصافحت جوانا «سررت بمعرفتك».

وأكملت ريم قائلة: «وهذه صديقتي سارة وابنة صديق والدي، وستدرس معنا هذا العام في كلية الطب».

جوانا «أتمنَّى لك التوفيق سوف نتساعدُ سويًا في الدراسة».

أمسك علي يد ريم وذهبا لإيقاف سيارة أجرة، بينما كان كلٌّ من سامر وسارة وجوانا يسيرون خلفهما، يتحدثون إلى بعضهم البعض، وكانت نظرات سامر إلى سارة مليئةً بالإعجاب.

أوقف علي سيارة الأجرة التي انطلقت من أمام المطار، وتوقفت أمام أحد المنازل، في أحد الشوارع القريبة من الجامعَة حيثُ نزلوا منها جميعًا.

أشارت ريم بيديها نحو المنزل الذي كانت تحيطُ به حديقة صغيرةٌ مزروعٌ فيها بعضُ الأزهار، «انظري سارة هذا المنزلُ الذي سنُقيمُ فيه»ثم ضحكت واقتربت من علي وعانقته متنهدةً وقلبها يخفقُ فرحًا لوجودهِ بقربها، ثم أشارت إلى منزل يبعد عن منزلها بمنزلين «وذاك منزل سامر وعلي نحن مُتجاورون».

قهوة صباحية

حلَّ صباح اليوم التالي، وكان صباحًا لطيفًا هادئًا، وكانت سارة تقوم بغلي القهوة التي كانت رائحتها تفوح في أرجاء المنزل متراقصة مع أصوات الموسيقى الهادئة التي تستمع لها وهيَ في قمةِ النشاطِ والانشراحِ، فقدمت إليها جوانا التي استيقظت منذ لحظات، ونظرت إليها وهيَ بالكادِ تقوى على فتحِ عينيها، قالت بصوتٍ قد غلبهُ النعاس: «صباح الخير.. مممم إنهاَ رائحة زكية... أين ريم؟».

ابتسمت سارة وردت قائلة: «صباح الخير لقد خرجت ريم مع علي باكرًا، متى سنذهب إلى الجامعة؟».

جوانا «عزيزتي أنا لن أذهب للجامعة اليوم، لدي موعد مع صديقي، سوف أوصلك إلى الجامعة ثم أذهب».

سارة «لا داعٍ لإيصالي سوف أذهب لوحدي، فأنا أعرف الطريق، هيّا لنشرب القهوة».

جلست سارة تشرب القهوة مع جوانا في الصالة، ثم ارتدت ملابسها وتأنقت وخرجت من المنزل باتجاه الجامعة ورائحةُ عطرها الزكية تتبعها.

لقاء مُقدر

دخلت سارة الجامعة وهي تلتفتُ حولها مُتأملةً إياها، ثُمَّ توجهت نحوَ القاعة التي ستُلقى فيها المُحاضرة بعد أن أرشدها إليها أحدُ الطلبة، وجلست على أحدِ المقاعد حيثُ كانَ إدوارد بجانبها، من اليسار وفتاة سمراء داكنة على يمينها.

نظرت سارة إلى الفتاةِ قائلةً بالإنكليزية:

– ما اسمك أنتِ؟

– أنا اسمي سارة.

ابتسمت الفتاة السمراء وأجابتها:

– ميلا، سررت بلقائكِ.

سارة:

– هل بإمكاننا أن نكون أصدقاء، فأنا ليس لدي أصدقاء هنا.

كان إدوارد يستمع لحديثهما، مد يده ليصافح سارة وهو يضحك قائلًا:

– أجل..

– بإمكاننا أن نكون أصدقاء.

ضحكت سارة والتفتت إلى إدوارد وصافحته، نظر كلٌّ منهما إلى

عيني الآخر نظرات متبادلة، قالت سارة وهي تنظر إلى عينيه:

- سررت بمعرفتك....ما اسمك؟.

رد إدوارد وهو ما يزال يمسك يدها ولم يفلتها:

- اسمي إدوارد، هل أنت من لندن؟.

ارتبكت سارة:

- نعم.

ثم سحبت يدها بلطف ونظرت إلى الأُستاذ الذي كان قد وصل.

نظرت ميلا إلى سارة ونقرت على كتفها نقرات لطيفة قائلة: نعم بإمكاننا أن نكون أصدقاء.

تقرُّب

بعد انتهاء المحاضرة، خرجت ميلا وسارة إلى صالة تناول الطعام، أحضرت كل منهما وجبتها وجلستا على إحدى الطاولات، ثم تبعهما إدوارد الذي طلبَ وجبتهُ وجلس يتناولها على الطاولة المواجهة لطاولة سارة، كان ينظر إليها بين الحين والآخر وعيناهُ الجميلتان تتأملانِ شعرها الأسودِ المنسدلِ على كتفيها، وملامحَ وجهها الطفولي وعينيها الواسعتينِ اللتين كانتا أيضًا تبادلانهُ النظرات بينَ الحينِ والآخر.

بعد انتهائهما أخذت سارة حقيبتها من على الطاولة لمغادرتها، فوقف إدوارد أمامها مُرتبكًا وهو يبتسم قائلًا:

- هل يُمكننا أن نخرج سويًا بعد انتهاء المحاضرة.

تسارعت دقاتُ قلبِ سارة فرحًا بطلبِ إدوارد، كانَ كلُ شيءٍ فيهِ يثيرُ إعجابها، ابتسمت قائلة:

- امممم... سأفكر بالأمر وعند انتهاء المحاضرة سأجيبك.

دخل إدوارد وسارة وميلا إلى المحاضرة، جلسوا على مقاعد متجاورة، وارتدى كل منهم رداءً أبيض وقفازين، نظر إدوارد إلى سارة وكلمها بصوت منخفض:

- لماذا ترتجف يداكِ؟

وغمزها قائلًا:

- لا تخافي سأساعدكِ بالتشريح.

ابتسمت سارة وأكملت لبس القفازين وهي تنظر إلى الكلية المطلوب تشريحها، وهي مرتبكة وخائفة، أمسكت المشرط بيدها الناعمة المرتجفة، وهي تحاول أن تشرِّحَها كما يطلب الأُستاذ، لكنَّ رجفة يدها وارتباكها لا يساعدها، اقترب إدوارد منها، وضع يده بلطفٍ فوق يدها التي تمسك بها المشرط، ويدهُ الأخرى فوق يدها التي تمسكٍ بها الكلية، نظر في عينيها وأخذ يعلمها ما يتوجب عليها فعله، وهو يشمُ رائحةَ عطرها التي أخذت تفوحُ بينَ دقاتِ قلبهِ، أما هي فأخذت تراقبُ ما يساعدها إدوارد في فعلهِ، لكنَّ عقلها كان مُغيبًا، فقد كانَ قلبها هو الرائدُ في هذا الموقف، وكلاهما كان يتمنَّى ألَّا ينتهِ الدرسَ ليكونَ قريبًا من الآخر.

في الحين الذي كان فيه سامر يتمشى أمام مخبر التشريح، ينتظر سارة وهو يراقبُ ساعتهُ اليدوية بينَ الحينِ والآخر مُترقبًا موعدَ انتهاءِ المحاضرة.

انتهت المحاضرة، خرجت سارة وتبعها إدوارد، أمسكها من يدها بلطف «ألن نخرج سويًا؟».

نظرت سارة إلى يد إدوارد التي تمسك يدها، سحبتها وهي مرتبكة وقالت:

- أجل سنخرج.

وعند وصولهما إلى المخبر، شاهدت سامر ينتظرها، فطلبت من إدوارد أن يسبقها إلى أمام الكلية، وقفت مع سامر تحدثه:

- أهلًا سامر.. ماذا تفعلُ هنا؟.

ابتسمَ «أنتظركِ كي نعود سويًا».

ارتبكت سارة

- أنا آسفة لن أعود الآن، سأذهب مع أصدقائي.

بدت ملامح الانزعاج والغضب على وجهِ سامر الذي تعجبَ من امتلاكها للأصدقاءِ بهذهِ السرعة، فقد كان يخططُ لأن يبقى هو بقربها ليتقربَ منها، ويكسبَ حُبها، ردَّ قائلًا:

- «كما تريدين» ثُمَّ غادرَ بغضب.

مشوار خائب

مشت سارة نحو بابِ الكليةِ، كانت نبضاتُ قلبها تتسارعُ كُلما اقتربت باتجاهِ إدوارد، بينما كانَ يدخن سيجارةً وينتظرها، وحين رآها قادمة، اقترب نحوها، قال مبتسماً:

- سيدتي الجميلة إلى أين تريدينَ أن نذهب؟

أجابت سارة والفرحة تملأ عينيها:

- أعطني بعضَ الاحتمالات لأختار.

فكر إدوارد ثم قال:

- نذهب إلى منزلي ونتناول الطعام ونشرب الخمر، أو أذهب وأحضر مفتاح السيارة من المنزل لنذهب بها إلى أحد المطاعم، ثُمَّ نتجولُ قليلًا».

أجابت سارة:

- نذهب بالسيارة لكن لا أريد شرب الخمر.

تفاجأ إدوارد: لماذا!!!.

ارتبكت سارة:

- إنه يسبب لي ألماً في المعدة، لذلك طلب مني الطبيب عدم شربه.

إدوارد:

– حسنا، لنذهب باتجاه منزلي لنحضر المفتاح إنه ليس بعيدًا من هنا.

مشى إدوارد وسارة باتجاه المنزل، وهما يتحدثان وكأنهما يعرفانِ بعضهما منذُ زمن، أو كأنَّ لقاءهما كان لقاءً موعودًا ومنتظرًا.

أخفت سارة عن إدوارد كونها عربية، كانت سعيدةً جدًّا برفقتهِ، بينما كان سامر يراقبهما من بعيد والغضب والغيرة تأكل قلبه وعقله من إدوارد الذي كان يفوقهُ جمالًا، والذي استطاعَ كسبَ رفقةِ سارة بهذه السرعة.

وعند وصولهما إلى أمام المنزل الذي لم يكن يبعد كثيرًا عن منزل سارة، طلب إدوارد من سارة الدخول ليُعرِّفها على صديقه سيمون الذي يقيم معه، لكنها رفضت طالبةً منه ألَّا يتأخر في الداخل، وعند دخوله جاء سامر باتجاه سارة وقال لها بغضب:

– ماذا تفعلين هنا إننا جميعًا مجتمعون في المنزل ننتظرك.

غضبت سارة، نظرت إليه نظرة طويلة، وقالت باستهزاء:

– اذهب وسأتبعك بعد قليل...ولا داعي لمراقبتي مرةً أخرى.

ذهب سامر وهو ينظر خلفه بحقد إلى إدوارد الذي أغلق باب منزله وابتسمَ لسارة، ثُمَّ مشى باتجاه السيارة، حزنت سارة لأنها لن تستطيعَ الذهابَ معهُ، وقالت له:

– لن أتمكن من الذهاب معك اليوم أرجو ألَّا تغضب».

نظر لها إدوارد باستغراب: لكن لماذا؟.. ماذا حصل؟.

- لا شيء تذكرت أن صديقتي تنتظرني اليوم.. أراك غدًا.

أمسك إدوارد سارة من زندها بلطف:

- انتظري لأوصلك.

ابتسمت سارة ابتسامةَ حزينةً:

- لا سأذهب لوحدي أراك غدًا.

مضت مسرعة باتجاه منزلها، وهو ينظر إليها متمنيًّا لو أنها استطاعت الخروجَ معهُ.

توبيخ

في طريقها وجدت سامرًا واقفًا بالقرب من المنزل ينتظرُ قدومها، وعند ما رآها، اقترب منها وهو في شدة الانفعال والغضب:

- ما شأنكِ أنتِ، من هذا الأجنبي الذي ترافقينه؟

تنهدت سارة بقوة، خاطبته بغضب:

- أنصت سامر، أنت لا شأن لك بحياتي، آمل ألَّا تتدخل في شيء يخصني مرة أخرى.

وتابعت طريقها ثم فتحت باب المنزل، دخلت وأغلقته خلفها بقوة تاركةً سامر وراءها، نظر عليٌّ وريم اللذان كانا يجلسان في الصالة يتناولان الطعام باتجاه الباب وقالا معًا: سارة ما بكِ؟

ثم نظرا إلى بعضهما وضحكا.

نظرت سارة إليهما بغضب «علي أرجو بأن تخبر صديقك سامر بألَّا يزعجني مرة أخرى».

ودخلت إلى غرفتها واستلقت على سريرها أخذت تتذكر يومها مع إدوارد حتى غفيت عيناها ونامت.

جمعة مسائية

وفي المساء بحدود الساعة التاسعة ليلًا، استيقظت سارة التي كانت لاتزال نائمة دون أن تبدل ملابسها حتى، وخرجت إلى الصالة حيث كان الجميع جالسين يشاهدون التلفاز ويأكلون الفشار.

نظرت ريم إلى سارة «عزيزتي إن الطعام مازال في المطبخ لابد أنك جائعة».

سارة، بصوت مازال النعاس يغلبه:

- لا أريد... سوف أخرج لأتجول قليلًا، فإن الجوَ لطيفٌ في الخارج».

جوانا:

- وأنا أيضًا أودُّ الخروج أتنتظرينني ريثما أبدل ملابسي؟

سارة:

- بالطبع عزيزتي، وأنا سأدخل معكِ لأبدل ملابسي وأعيد تسريح شعري.

دخلت سارة وجوانا إلى الغرفة، نظر علي إلى صديقه سامر الذي لم يرفع رأسه عن الأرض، كان مازال غاضبًا وضربه بيده على ظهره قائلًا:

- ما شأنك يا رجل، ابتسم.

سامر:

- لقد رفضت العودة معي حتى تعود مع ذلك الشاب.

علي:

- وما شأنكَ أنت بها لِتَعُدْ مع من تريد.

مصادفة

خرجت سارة وجوانا من المنزل، أخذتا تتحدثان وتتجولان في الشوارع المجاورة، كانت السيارات والناس تملأ الشوارع، والهواء لطيفٌ عليل، وكانت سارة تتجولُ بنظراتها بينَ المارة لعلها تصادف إدوارد.

وبينما هما عائدتان إلى المنزل، تمشيان في أحد الشوارع الشبه خالية، أحست سارة بأحدهم من الخلف، يضع يديه على عينيها قائلًا:

- من أنا يا سيدتي الصغيرة؟

ابتسمت سارة وتنهدت، وضعت يديها فوق يديه، كأنها استردت روحها بعد غياب طويل: إدوارد!!!...هذا أنت؟

أزاحت سارة يديهِ عن عينيها، التفتت باتجاهه، نظرت إليه مبتسمة، كأن عينيها تشكران خالقهما لرؤيتهِ، قالت: لقد سررتُ بلقائك.

ثم نظرت إلى جوانا التي كانت تنظُر إليهما باستغراب، وقالت:

- إنه صديقي إدوارد الذي تحدثت لكِ عنه منذ قليل.

بينما كان إدوارد لا يزال ينظر لها، ثم نظر إلى جوانا وصافحها قائلًا:

- سررت بلقائك؟.. ماذا قالت لكِ عني؟.

ضحكت جوانا:

- لتخبركَ هي بهذا.

ثم نظرت إلى سارة:

- أنا عائدة إلى المنزل اتبعيني بعد قليل.

تجوال

عادت جوانا إلى المنزل، بينما أمسك إدوارد يدَ سارة أخذها إلى السيارة وهي تنظر إليه نظرة غرام ممزوجة بخجل شرقي.

جلست بجانبه في المقعد الأمامي، نظر إليها:

- الآن أخبريني.... ماذا قلت لصديقتكِ عني؟

وضعت سارة إصبعها على خدها، تظاهرت بأنها تفكر، ثم ضحكت:

- لقد نسيت.....إلى أين ستأخذني الآن؟

- إلى رحاب جنّة، حيث الحب والنبيذ والقمر.

- نظرت إليه وسمات الغضب تحتل مساحة وجهها.

- قلت لك لا أحب الخمر ولا الكلام المعسول.

- إنكِ غريبة الأطوار... اغضبي مرةً أخرى، فأنت تزدادينَ جمالًا حين تغضبين.

شَغّلَ إدوارد السيارة، أخذا يتجولان بها والأغاني الصاخبة تملؤها، والفرحُ يغمُرُ قلبهُ وقلبَ سارة.

أوقفها أمام أحد المطاعم، جلسا يتناولان الطعام، وبعد انتهائهما نظرت سارة إلى إدوارد:

- إدوارد يجب أن أعود إلى المنزل كي لا أتأخر.

- حسنًا سأوصلكِ إلى أمام المنزل، أرشديني إلى الطريق.

- لا أعدني إلى الشارع الذي التقينا عنده، فمنزلي قريب من هناك.

أوقف إدوارد سيارته في الشارع الذي التقيا فيه، أكمل معها ماشيًا ليوصلها إلى المنزل، لكنها لم تأخذه إلى أمام منزلها تمامًا، جعلته يوصلها لمنزلٍ مجاورٍ لمنزلها وقالت له إنها ستكمل طريقها.

قبل ذهابه نظر إليها وقال:

- لقد كان اليوم جميلًا جدًّا برفقتك يا حلوتي.

وضع يده على شعرها الناعم الطويلِ الذي كان يداعبه الهواء، ابتسمت له وأكملت طريقها إلى منزلها.

نقاش

عندما وصلت سارة إلى المنزل، فتحت الباب تفاجأت بجوانا وريم اللتينِ كانتا تنتظرانها أمامهُ، بعد أن رأتها جوانا قادمة من خلالِ النافذة الموجودة في الصالة والمطلة إلى الخارج، أمسكت جوانا بها من ذراعها الأيمن وريم من ذراعها الأيسر، وأخذتا تسألانها عن إدوارد والضحكات العالية والفرح يغمرهن جميعًا.

ثم توجهنَ إلى الغرفةِ التي كانت تحوي على ثلاثةِ أسرِّة، لكل واحدة منهنَ سرير، أخذت سارة تبدلُ ملابسها ثُمَّ استلقت على سريرها؛ لتستعدَ للنوم، بينما كانت كلٌ من جوانا وريم مستلقية على سريرها.

نظرت ريم باتجاهِ سارة وقالت بقلق:

- ألا يتوجب عليكِ أن تخبريه بأنك عربية...عندما سيعلم الحقيقة سيلومكِ كثيرًا.

سارة: «لا أظن بأن لديه مشكلة في هذا، فهو لطيفٌ جدًا، هل أخبرهُ غدًا؟».

جوانا: «لا سارة لا تخبريه، انتظري الآن حتى يتعلق قلبُهُ بكِ جيدًا ثُم أخبريه».

استحواذ

بعد مرور أسبوع قضته سارة مع إدوارد، تجلسُ بجانبه هي وميلا في جميع المحاضرات، ويذهبان معًا إلى الجامعة ويعودان معًا.

كما كانا يخرجان في مساء كلِّ يوم في سيارته إلى مكان، فتارةً إلى مدينة الألعاب، وتارة إلى المطعم، لقد كانت أوقاتًا مليئة بالفرح، فكانَ كلٌ منهما يتمنى مرورَ الليلِ سريعًا ليأتي الصباح ويرى نصفهُ الآخر.

في حوالي الساعة الخامسة مساءًا، كان إدوارد مستلقيًا على سريره شاردًا، دخل سيمون وأحضر له كأسًا من النبيذ، ابتسم سيمون:

- أهكذا يفعلُ الحب؟....أحقًا تحبها أم أنها كباقي الفتيات التي عرفتهنَ سابقًا؟»

التفت إليه إدوارد:

- أظن أنني أحبها حقًّا، فهي مختلفة في كل شيء، واليوم سأصارحُها بذلك.

- هل هي تحبك؟

- أظنُ ذلك.

موعد

اتصل إدوارد بالمطعم الذي يترددان إليه عادةً في المساء، طلب من المدير أن يحجز له القسم العلوي من المطعم، ويزينهُ بالورد والشموع الحمراء، ثم اتصل بسارة وطلب منها أن تلاقيه في المطعم عند الساعةَ العاشرة ليلًا.

أخذت سارة تختار الفستان المناسب وكانت جوانا تساعدها في الاختيار، فقررت أن ترتدي فستانًا أحمر قصيرًا وانتعلت حذاءً أحمر ذا كعبٍ عالٍ، سرَّحت شعرها ليكون منسدلًا متأرجحًا فوق كتفيها وظهرها، وضعت قليلًا من حمرة الشفاه الحمراء، وكحلةٍ العينينِ السوداء، كانت تبدو في قمة الجمال والأناقة.

خرجت سارة برفقة جوانا إلى الصالة حيثُ كان علي وريم وسامر يشاهدون التلفاز، فكانت ريم جالسةً بجوارِ علي واضعةً رأسها على ذراعهِ، وهو يمسكُ يدها بلطف بكلتي يديهِ، نظر الجميع إليها مبهورين بجمالها، وبعد أن خرجت من المنزلِ بقليل، وقفَ سامر غاضبًا، فقد كان كلما يراها مع إدوارد ينزعج وينظرُ إليه بكراهية وكأنهُ يتمنى تمزيقهُ بيديه، الغيظُ يستولي على قلبهِ من اهتمامِ سارة به

أمسكه علي من زندِهِ بقوة:

– سامر الى أين تريد أن تذهب؟

فأجابه سامر بغضب:

- يجب أن أضع حدًا لهذه المهزلة، إنها صديقتنا وابنة بلدنا، لا يجوز أن نسمح لها بهذا، إنه يستغلها.

ردت جوانا عليه:

- وما شأنك أنت بها؟ إذا كنت حقًا تخافُ عليها اتركها وشأنها فهي راشدة.

أبعد سامر يد علي عنه بقوة، خرج غاضبًا، لكنه لم يستطع اللحاق بها، فقد كانت قد استقلت سيارة أجرة وابتعدت.

صدمة

أخذ سامر يتجول في الشوارع القريبة من المنزل، تكاد نيران الغضب تخرجُ مع أنفاسه، رأى إدوارد واقفًا عند محل بيع للأزهار، حيث اشترى باقة من الوردِ الجميلة.

اقترب سامر نحوه وقال له بغضب:

– ماذا تريد من سارة، هل لك أن تخبرني؟

أمسكه إدوارد من ملابسه صارخًا في وجهه:

– وما شأنك أنت؟

– أبعد يدك عني..إنها ابنة بلدي ومن حقي أن أدافع عنها.

ضحك إدوارد بسخرية، وأفلتَ ملابسَ سامر «لا بدَّ أنك مريض ابتعد من هنا، كي لا أُمّزقك».

وقفَ سامر أمامَ إدوارد «لن أدعك تذهب...وإذا استمرت هذه المهزلة سأخبرُعمّها أن يعيدها إلى سورية».

تفاجأ إدوارد، نظر إلى سامر باستغراب:

– عن ماذا تقول... ما شأن سورية بذلك.

ضحك سامر ضحكةً طويلة ساخرة، رمى إدوارد باقة الأزهار من يده، أمسكه بقوة وهو يصرُخ قائلًا:

- تحدث وإلا قتلتك.

سامر وهو يحاول أن يبعد يدي إدوارد عنه:

- ألم تخبرك بأننا عرب وقد جِئنا من سورية للدراسة هُنا أيها الصديق المقرب.

لكمَ إدوارد سامر لكمةً قويةً ثم أفلته موقعًا إياهُ أرضًا، وذهب مسرعًا نحو سيارتهِ.

دخلت سارة المطعم، استقبلها المدير، طلب منها الصعود إلى القسم العلوي، صعدت وشاهدت الشموع والأزهار الحمراء والأغاني الهادئة التي ملأت المكان، وجلست على الطاولة وأخذت تتأملُ الزينة، ترقرت في عينيها دموع الفرح، لأنها ظنت بأن هذا تعويضًا عن سنوات العذاب التي قضتها مع والدتها وزوجها، فهي لم تتلقَ اهتمامًا كهذا منذ وفاةِ والدها، وبعد أن عرفت إدوارد وجدت فيهِ كلَّ شيءٍ ينقصها فقد كان الأب والصديق والحبيب، صحيح إنها التقتهُ منذُ مدةٍ قصيرة، لكنها فرحت في هذه المدة فرحًا يفوق فرحها في سبع سنين مضت بأضعاف مضاعفة، لقد كانت تتجاهل أهم الموضوعات التي تفسد الحب في معظم الأحيان «الدين» فهي لم تفكر أن تسألهُ عن دينهِ، ولا حتى عن أي شيء من الممكن أن يعكر صفو سعادتها معه، كانت تتجاهلُ الكثيرَ من أسئلةِ عقلها، لم تكن تعلم أن الحزن يأتي بقدرِ أضعاف السعادة، وكلما كانت السعادة أكبر كان الحزن أعظم، والخيبة أقوى.

الخيبة

وصل إدوارد إلى المطعم، صعد مسرعًا إلى القسم العلوي، وعيناه تشتعل فيهما نار الحقد والغضب وعندما وصل، وقفت سارة، ونظرت إليه وابتسمت ابتسامةً بريئةً عذبة، وهو ينظر إليها نظرةَ جلادٍ بلا قلب، يريدُ الانتقامَ من سجينهِ، قالت له بصوتها الرقيق: شكرًا على كل هذا.

لكنه لم يجب، بقي ينظُر إليها نفس النظرات، في حين جاء الخادم من خلفهِ قائلًا: سيدي ما طلبك؟

ردّ إدوارد بصوتٍ غاضب دونَ أن يلتفت للخادمِ حتى:

- اذهب ولا تعد حتى أناديك أنا بنفسي.

- أمرك سيدي.

نظرت سارة إلى إدوارد برعب:

- إدوارد ما بك؟

أجابها ونار الحقد تكاد أن تخرج من عينيه:

- هل أنت عربية؟

ارتبكت سارة، أجابت بصوتٍ مرتجف:

- نعم كنت أريد أن أخبرك لكن....

لم يترك إدوارد المجال لها بأن تكمل كلامها، فصفعها بكل ما يملكُ من قوة، فغطى شعرها الأسود الطويلُ وجهها من شدة الصفعة.

أبعدت سارة شعرها عن وجهها، نظرت إليه والدموع تملأُ عينيها، قالت له بصوتٍ مبحوح باكٍ تغمرهُ غصات الألم: «لماذا؟» فصفعها صفعةً أخرى أوقعتها أرضًا وقال لها:

- لأنك كاذبة.

ثم وضع النقود على الطاولة وتركها مرميةً أرضًا تنهمرُ الدموعُ من عينيها، وفؤادها محطمٌ مع كل نبضةٍ من نبضاتهِ، كانت تسقطُ دمعةٌ خائبةٌ من إحدى عينيها، لقد كان ردًا صادمًا وقاسيًا لم تكن تتوقعهُ، فقد تشظى كل الفرح الذي كانت تخبئهُ في قلبها من كل شيء من الممكن أن يسلبهُ كلوحِ زجَاجٍ انغرست بقاياهُ في طيات ذلك القلب الباكي.

غادر إدوارد المطعم، جلس في سيارته، استرخى واضعًا رأسه على مقود السيارة، ثُمَّ أخذَ يضربُ رأسهُ بالمقود وهو يتمنى لو أن كلَّ ما حدثَ لم يكن حقيقة، مشاعرهُ تمزقُ بعضها من شدةِ الصراع القائم في قلبهِ، بعضها يناشدهُ بالحبِ، وبعضها الآخرُ بالكراهية، فتارَةً ينظر باتجاه المطعم ويتذكر كيف ضَربها فيرق قلبه حزنًا عليها وتارةً أخرى يعمي الحقد عينيه، فلم يكن يخطر في باله بأن سارة مختلفة عنهُ إلى هذا الحد، حتى أنها من أعدائه، لقد أحس بالبؤس، فقد كان عليهِ أن يحوِّلَ الحب الذي اجتاح قلبهُ للمرةِ الأولى إلى كراهية، وهو أمرٌ أشبهُ بالمستحيل، لقد عرف كثيرًا من الفتيات سابقًا لكن لم تستطع إحداهن

الركونَ في قلبهِ على الرغم من أن معظمهن يمتلكنَ عقيدتهُ إلا تلك الحبيبةُ العدوة الغريبةُ القريبة.

صعدَ أحد الخدم إلى الطابق العلوي، فشاهد سارة على الأرض توشكُ أعصابها على الانهيارِ من شدة البكاء، قام بمساعدتها على النهوض بلطفٍ، أجلسها على الكرسي، وسكبَ لها كأسًا من الماءِ لتشربهُ وتهدأ قليلًا، سألها إن كان يتوجبُ عليهِ إحضارُ الشرطة فرفضت، شربت كأس الماء ومسحت دموعها محاولةً أن تتماسكَ مع نفسها، وتستجمع قوتها أخرجت مرآةً من حقيبتها ونظرت إلى وجهها لتجد أصابعه مطبوعة على خدّها من قوة الصفعتين، فقربت شعرها منه حتى لا يلاحظ أحد الآثار، تمالكت نفسها وأكملت طريقها للخروج من المطعم وهي تدهسُ بكلِ خطوةٍ على بقايا قلبها المتناثر ففي كل خطوةٍ تغصُ ألمًا.

عندما شاهدها إدوارد تخرج من الباب، رقَ قلبهُ، فتح باب السيارة لينزل إليها ويجبر قلبها الذي كسره، كان متشوقًا لأن يعانقها بقوةٍ ويبكي، لعله ينسى ألم ما حدث، لعلها تخبرهُ بأنها كانت تمازحهُ، وأن ما سمعه كان كذبًا، إنها ليست عربية وليست مسلمة ولا مسيحية، بل إنها مثلهُ يهودية، ليس من المشترط أن تكون صهيونية، بل أن تكون يهودية فهذا يكفي، حتى أنه كان سيتقبلها لو كانت مسيحية أجنبية لكنه عاد وأغلقه لأن حقده والكُره الذين في قلبِهِ لم يمكناه من ذلك،

قادَ سيارتهُ مسرعًا نحو منزله وقلبهُ يكادُ ينشطرُ إلى نصفين فقد وقع قلبه في فخِ حبٍ مؤلمٍ جدًا.

بينما استقلت سارة سيارة أجرة وعادت إلى منزلها، وهي تشعرُ بأنها تكادُ تختنق، وكأنَ الهواءَ الذي كانَ يشرحُ لها صدرها ويبعثُ في ثناياها الأمل عند خروجها من المنزل، قد تحولَ إلى هواءٍ فاسدٍ يضيقُ بهِ صدرها عند عودتها.

دخلت سارة إلى منزلها مكسورة القلب، تكاد الدموع تتساقط من عينيها، كانت جوانا جالسة في الصالة تشاهد التلفاز، وعندما رأتها بهذه الحال، اقتربت منها قلقةً، رفعت بيدها شعرها عن وجهها فشاهدت آثار الصفعات، صرخت متفاجئة:

- ما هذا؟ من فعل بك هذا؟

سارة بصوت حزين مختنق:

- أرجوك لا تخبري عليًّا أو سامرًا، غدًا سأخبركِ بكل شيء لكني الآن متعبة جدًا.

حضنت جوانا سارة:

- لا تحزني حبيبتي.. لن أخبر أحدًا وسأطلب من ريم ألا تخبر أحدًا.

دخلت سارة إلى الغرفة، نظرت إلى ريم التي كانت مستغرقة بالنوم، فاستلقت على سريرها وهمت بالبكاء بصوتٍ ضعيف كان يزيدُ لها ألمُ قلبها كلما حاولت كتمهُ، فهي لم ترد لأحدٍ أنً يسمعه.

بينما كان إدوارد جالسًا في غرفته على وشك أن يثمل من شُربِ النبيذ، وهو ضعيفٌ بالكادِ يستطيعُ أن يضبطَ نفسهُ كي يخفي عن عقلهِ المتعصب حبهُ لسارة، دخل سيمون وجلس بجانبه، نظر إليه:

- ما بكَ يا صديقي منذ أن جئت وأنت لست بخير، ماذا هناك، هل رفضت حبك؟

أجاب إدوارد وكأن قلبهُ سيخرجُ من حنجرتهِ من شدةِ الحزنِ:

- ليتها رفضت..ولم يحدث ما حدث.

ردَّ سيمون قَلِقًا:

- ماذا حدث؟؟؟

إدوارد بصوت ثمل متعب:

- إنها عربية...عربية وتعلمُ أنت كرهي للعرب.

- ليست مُشكلةً كبيرة، فمن يكره شيئًا يمكن أن يحبه لأجل شخصٍ يحبه.

- سيمونَ أرجوك اتركني وشأني فأنت لا تعلم شيئًا.

طُرِقَ باب المنزل، خرج سيمون ليفتحه، فأخبره إدوارد أنه ليس هنا إذاَ سأل أحدٌ عنه.

إنجلينا

فتح سيمون الباب ليجد الفتاة الشقراء النحيلة إنجلينا صديقة إدوارد وابنة جيران أهلهِ، التي كانت تحبهُ وعلى علاقةٍ معهُ، حيثُ كانت تأتي دائمًا إلى منزلهِ لزيارتهِ بينَ الحين والآخر، لكنها لم تكن تعلمُ هذهِ المرة أن إدوارد هائمٌ في عشقٍ لم يعد يقوى على الاعترافِ بهِ لنفسهِ، بعد أن علمَ أنهُ يعشقُ عدوًا لهُ ولمعتقداتهِ، ألقت إنجلينا التحية على سيمون، ودخلت وهي مبتهجةٌ لرؤيةِ إدوارد.

لم يدر سيمون ماذا يخبرها عن إدوارد، فأخبرها أنه متعب، وينال قسطًا من الراحة وأنه لا يريدُ لأحدٍ أن يقومَ بإزعاجه.

لم تكترث إنجلينا لكلام سيمون، دخلت غرفة إدوارد فوجدته جالسًا يشرب السجائر، فمدت ذراعيها واتجهت نحوه وعانقته:

- حبيبي إدوارد لقد اشتقت لك كثيرًا، لقد أحضرت لكَ معي النبيذ والسجائر التي تحبها لنسهر سويًا الليلة.

أبعد إدوارد يدي إنجلينا عنه وهو لا يطيقُ رؤيةَ أحدٍ، حتى أنهُ أصبحَ يكرهُ نفسهُ بسبب ضعفهِ، وقال لها بصوتٍ متعب:

- أرجوك إنجلينا اتركيني وحدي..فأنا متعب ولا أريد رؤية أحد، اسهري الليلة مع سيمون وغدًا أراكِ.

رفضت إنجلينا الخروج، بقيت جالسةً بالقرب منهُ، تضع يدها على

شعره قائلةً بصوتٍ منخفض:

- لكنني جئت لأسهر معك الليلة.

أمسكها من يدها ودفعها بقوةٍ خارجَ غرفته، ثم أقفل الباب واستلقى على سريره بائسًا تعيسًا، وقد أنهكَ الحبُ قلبهُ.

غضب

كان سامر واقفًا أمامَ المرآةِ ينظرُ إلى أثرِ اللكمةِ التي كان يؤلمه مكانها، وهو حاقد يشتم إدوارد ويتوعدُ لهُ بردِها له عما قريب، أما علي فكان مستلقيًا على سريره في نفس الغرفة غاضبًا منهُ بعد أن أخبرهُ بما فعل، ويحاولُ الاتصال بريم التي استيقظت على صوتِ رنينِ هاتفها، ونظرت إلى رقمه حزينة ثُمَّ تابعت نومها دون الإجابة على اتصاله، وكأن اللهفة التي كانت تستحوذها عندما كان يتصل بها وتستبيح ثنايا قلبها قد سافرت في تلك الليلة.

صباح بائس

في صباح اليوم التالي، استيقظت ريم ونظرت إلى سارة مُستغربة، فقد كانت نائمةً وهي ترتدي فستانها الأحمر، ثم نظرت إلى جوانا التي كانت مستلقيةً تراسلُ صديقها عبر هاتفها، قالت بصوت منخفض:

- صباح الخير، لماذا لم تبدل ملابسها؟

جوانا:

- صباح النور، لقد عادت أمس بحالةٍ يُرثى لها، سنسألها عندما تستيقظ، لقد أبت أن تخبرني البارحة.

فتحت سارة عينيها، نظرت إليهما ثم تحدثت بصوتٍ منهك:

- سأخبركما بكل شيء لكن اصبرا حتى أغسل وجهي وأبدل ثيابي.

ضحكت ريم وجوانا، نظرتا إلى بعضهما ثمَّ قالتا معًا:

- إنها ليست نائمة.

في الحين الذي استيقظ فيه إدوارد وهو يمسك رأسه من شدة الألم، فتح باب غرفته نظر إلى إنجلينا وسيمون اللذين كان كلٌ منهما نائمًا على أريكة في الصالة، غسل وجهه وبدأ يتأهب للذهاب إلى الجامعة.

جلست سارة تروي لصديقتيها ما حدث معها ليلة أمس وهي حزينة، تكاد عيناها تذرفان الدموع، وصوتها يتعثرُ بغصاتٍ مؤلمةٍ خارجةٍ من قلبها، وبدت على كلٍ منهما ملامح الغضب والدهشة لما

فعله إدوارد، ثم قالت ريم بصوتٍ مرتفع غاضب:

- سأخبر علي وسامر ليضعا حدًا لهذا الوضيع.

سارة: لا...لا...إياكِ أن تخبري أحدًا، إذا أخبرتِ أحدًا منهما لن أكلمكِ مرة أخرى.

جوانا: حسنًا ريم لا تخبري أحدًا، هيّا لنتأهب للذهاب للجامعة.

ريـــم: أنا لست ذاهبة اليوم، سأعود للنوم.

ســارة: لماذا!

ردت ريم حزينة: «لقد تشاجرتُ مع علي ولا أريدُ أن أراه»

جوانا: لماذا تشاجرتما.

ريـــم: بسبب إحدى فتياتِ الجامعة التي حذرتهُ مرارًا وتكرارًا أن لا يتحدثَ معها، فهي عديمةُ الأخلاق والبارحة وجدتُ مكالمةً بينهما على هاتفهِ النقال مدتها عشر دقائق.

سارة: هدْئي من روعك، واستعدي للذهابِ معنا، أفضلَ لكِ من البقاءِ هُنا.

ردت ريم غاضبة: أرجوكما اتركاني وشأني لا أريدُ الذهاب.

تأهبت سارة وجوانا للذهاب إلى الجامعة، حاولت سارة أن تغطي بشعرها قدر الإمكان الأثر الذي تُركَ على وجهها، وخرجت من المنزل مع جوانا وقد غطى الحزنُ قلبها، وانطفأ بريقُ الأملِ في عينيها.

حيرة

استيقظ إدوارد وهو يمسك رأسه من شدة الألم، نهض من سريره متوعكًا، فتح باب غرفته ونظر إلى إنجلينا وسيمون اللذين كان كلٌ منهما نائمًا على أريكة في الصالة، وقوارير النبيذ الفارغةِ تملأ الطاولةَ التي أمامهما، فخرج بهدوءٍ متوجهًا إلى غُرفةِ الاستحمام، غسل وجهه وبدأ يتأهب للذهاب إلى الجامعة وهو متردد، خجل من نفسهِ لا يعلم كيف عليه التعامل مع سارة، ثُمَّ استجمع قوةَ شخصيتهِ التي كانت تتآكلُ من الحب، وقرر الذهاب بحزم محاولًا تجاهلَ ما فعلهُ بالأمس.

اعتذار

عندما وصلت سارة وجوانا إلى الجامعة، صادفتا ميلا، ذهبت سارة معها إلى محاضرتها حيثُ كان إدوارد جالسًا على مقعده، أبت سارة أن تجلس بجوارهِ كالمعتاد متجنبةً النظرَ إليهِ، حيث استبدلت مكانها مع ميلا، كانت تنظُرُ باتجاهِ أستاذِ الجامعة، لكن عقلها شاردًا لا يستطيعُ أن يستوعبَ ما حدث، بينما كانت نظرات إدوارد لا تفارقها، وكأن عينيهِ تطلبان المغفرة.

بعد انتهاء المحاضرة خرجت سارة مع ميلا باتجاه صالة الطعام، نظرت ميلا إلى سارة بتمعن

وقالت لها: توقفي.

ثُم أزاحت بيدها شعر سارة عن وجهها وقالت بدهشة: يا إلهي... من فعل بكِ هذا!.

كان إدوارد يسيرُ خلفهما فرأى آثار صفعاته، اقترب منها وقال لميلا:

- من بعد إذنك هلّا سبقتينا إلى صالة الطعام، أُريدُ أن أحدثها قليلًا.

مشت ميلا إلى الصالة، وقف أمام سارة، رفع شعرها عن وجهها وقبّلها قبلةً لطيفةً مكان الصفعتين.

نظرتْ سارة إليه بحزن، ثم استدارت لتكمل طريقها، أمسك بيدها وقال لها:

- أرجوكِ لا تذهبي، أنا حقًا آسف، اصفعيني كما فعلتُ بالأمس، رفع يدها باتجاهِ خدِّه وقال: هيّا.

سارة: لا أريد أرجوك اتركني وشأني.

قبَّل يدها وبقي ممسكًا بها، أخذها معهُ إلى صالة الطعام، جلست بجوارِ ميلا وبقي إدوارد جالسًا بجانبها، كما بقي يرافقها حتى نهايةِ الدوام، لكنها كانت تتجنب حتى النظر في عينيه.

إنجلينا

بعد انتهاء الدوام، وجد إدوارد إنجلينا تنتظره بالسيارة أمام باب الجامعة، استأذن من ميلا وسارة وذهب إليها، ابتسمت له، خرجت من السيارة، توجهت نحوهُ وعانقته، نظر إليها وتنهد بعمق:

– ماذا تريدين إنجلينا؟، دعيني وشأني.

نظرت إنجلينا إليه نظرة طويلة غاضبة:

– ألن تذهب معي لزيارة والديك؟

إدوارد:

لن أذهب لأي مكان، أراكِ لاحقًا.

أكمل مسيره في طريقه للعودة وهو مستاءٌ من إنجلينا التي كانت تحبهُ منذ طفولتها، لكنها كانت بالنسبةِ لهُ علاقة عابرة كأية فتاةٍ ممن عرفهن سابقًا.

جريمة

وصلت سارة إلى المنزل، وجدت الباب مفتوحًا، دخلت وهي تندهُ بصوتٍ لطيف «ريم» لتجد صديقتها ريم غارقة في بحر دمائها، وسكينًا حادةً مزروعةً في قلبها، جلست سارة على الأرض ولم تعد تقوى على الوقوف، اقتربت منها وعانقتها وهي تتمتم بكلماتٍ متقطعة:

– ريم...استيقظي...ما بكِ...ريم أرجوكِ لا تتركيني.

استجمعت قواها، وذهبت تركض باتجاه منزل علي، ويداها تملؤهما الدماء، والدموع تهطلُ من عينيها أخذت تطرُق الباب بقوةً، لكن لم يكن هناك أحد في المنزِل.

أخذت تركض باتجاه الشارع الرئيسي، فصادفت إدوارد أمسكها ونظرَّ إليها وإلى يديها والخوف قد غمر قلبه، عانقها وهي تبكي:

– سارة ما بكِ..ماذا حدث؟

أجابته بكلماتً عربية وهي بالكاد تستطيع النُطقَ من شدة البكاء:

– لقد قتلوها.. قتلوا ريم.

نظر إليها وهو لا يستطيع فهم ما تقول:

– ماذا حدث؟

– لقد قتلوا صديقتي.

- لا أستطيعُ أن أفهم ما تقولين تكلمي الإنكليزية.

أخبرته بما حدث ذهب معها مُسرعًا للمنزل، وحاول أن يهون عليها حزنها، وبعد قليل ملأت الشرطة المكان وبدؤوا بالتحقيق في أحداث الجريمة.

رحيل أبدي

في ذلك اليوم الحزين الذي كانت ترقُصُ فيه ألحان الوجع في المنزل البائس المليء بالدماء، وكانت غُيوم السماء داكنةً كأنها أطلقت عنان الحداد، رأى علي الذي كان عائدًا إلى منزلهِ رجالَ الشُرطة المجتمعينَ حولَ منزلِ جوانا، ألقى الكتب من يدهِ على الأرض وركضَ مُسرعًا نحوهُ، لكن الشرطة منعته من الدخول، خرجت سارة من باب المنزل مستندة على إدوارد بالكاد تستطيع الوقوف، رآها علي ونظر إليها والخوف يغمرُ قلبه، قال لها بصوتٍ مرتجف:

- ماذا حدث؟ أين ريم؟

نظرت سارة إليه والدموع تهطلُ من عينيها، كأنها أمطارُ كانون، أجابت بصوتٍ غَلب عليه الحزن والضعف:

- لقد قُتلت.

لم يصدق علي ما سمع، وأحسَّ كأن أحدهم قد اقتلعَ قلبهُ من مكانهِ، فاقترب من الجثة المغطاة بغطاء أبيض الذي كان رجالُ الشرطة يضعونها في سيارة الاسعاف، كشف الغطاء راجيًا أن تكونَ ليست ريم، فصرخ عندما رأى وجهها بصوتٍ باكٍ، ملأ الحي بأكمله:

- استيقظي فأنا أحبك...لا تتركيني وحيدًا.

وكان رجال الشرطة يحاولون إبعادهُ وهو يكمل:

– أنا آسف لأنني أغضبتك....أرجوكِ سامحيني.

اقتربت منه سارة وعانقته وهي تبكي، بينما كان سامر يحاولُ إيقاظ جوانا التي أغميَّ عليها عندما وصلت إلى المنزل وشاهدت المنظر المريع.

كان إدوارد ينظرُ إليهم جميعًا نظرات متعاقبة، دون أن ترفَّ لهُ عين، وهو يحاول فهم الكلمات العربية التي بالكاد يستطيع أن يفهمَ بعضها، ولم يكن لشيء أن يرقَ لهُ قلبه القاسي إلا دموع سارة التي كانت كالأمطار.

تحدثَّ لنفسهِ:

– ما الذي أفعلهُ أنا هنا، أنا لست ضعيفًا لأتخلى عن معتقداتي وواجباتي لأجل فتاة...لا يجب أن أكون هنا، أنا لست منهم لأكون بينهم».

نَظَرَ إلى سارة التي كانت تتحدثُ معَ المحقق، ترك المنزلَ عائدًا إلى منزلهِ دون أن يخبرها لأن حقده أغشى عينيه.

عودة

بعد مرور أسبوعين...

اجتمع الأصدقاء الأربعة أمام منزل جوانا، كلٌ منهم مع أمتعته، قام الجميعُ بتوديع علي الذي كان عازمًا على العودة إلى الوطن بعد أن فقدَ أغلى ما كان يملك، فقد كان حلمهُ بأن تبقى معهُ ريم دومًا يفوقُ حلمهُ بأن يكونَ طبيبًا، كان يشعرُ أنه لا معنى للمستقبلِ بعد رحيلها أما باقي أصدقائه فقد قرروا الانتقال إلى السكن الجامعي الخاص بالجامعة، بعد أن أحسوا أن حياتهم ربما تكون مهددة بالخطر بعد الحادثة المشؤومة حيث حجزت سارة وجوانا غرفتين متجاورتين فيه.

عانق الجميع علي والدموع تكاد تتلألأ من عيون الذين ودعوه، وقلوبهم تخفق حزنًا.

توجه علي إلى قبر ريم قبل ذهابه للمطار، وضع عليهِ وردةً حمراء وبجانبها خاتم الخطوبة وقال بتنهيدةٍ عميقة خرجت من جوف قلبه: وداعًا حبيبتي...لم أكن أنوي العودةَ وحدي

مسح دمعةً نزلت من عينه:

- لكنكِ تركتني باكرًا.. وباكرًا جدًّا لقد جئتُ هنا لأبني كل أحلامي برفقتكِ فخسرتك وخسرت معك كلَ شيءٍ، وأنا الآن عائدٌ دون أن آخذَ معي شيئًا سوى الألم.

ثُمَّ أكملَّ طريقهُ باتجاهِ المطار وهو يحاولُ ترميمَ بقايا قلبهِ المبعثرة التي تكادُ تُخرجُ روحهُ من صدره، ويمسحُ دموعهُ التي كانت تشكي من ألم الفقدانِ ولوعةَ الفراق الأبدي.

كان إدوارد لا يكلُّ ولا يملُّ بإقناع سارة بالعودة إلى بلدها، فقد كان يخشى عليها من نفسه ومن أصدقائه، لكنه فشل بإقناعها، وكل محاولاته للابتعاد عنها فشلت أيضًا، فقد حاول مرارًا وتكرارًا ألَّا يجيب على اتصالاتها ثم يعودُ هوَ ويتصل بها، حاول مرافقة فتيات أخريات في الجامعة وتجنبها لكنَّ نظراتهُ كانت تلاحقها أينما ذهبت.

طلب موجع

بعد مرور شهر على الحادثة...كان إدوارد خارجًا من الجامعة يتحدث مع سيمون على الهاتف النقال، تتبعه ميلا وسارة وهما تتحدثانِ مع بعضهما، في حين أشار جون لإدوارد بالقدوم إليه من داخل سيارته الرمادية التي كانت واقفة بالقرب من الجامعة، أنهى إدوارد مكالمته مع سيمون، ومشى باتجاه السيارة التي نزلت منها إنجلينا، اقتربت منه وعانقته، كانت سارة تحدث ميلا وتنظر إليهما من بعيد وهي تشعرُ بالغيرةِ من إنجلينا لكنها تحاولُ إخفاءَ هذا.

في حين دخل إدوارد السيارة، جلس بجوار جون، في حين جلست إنجلينا على المقعد الخلفي، نَظَرَ جون إلى سارة مطولًا في حين كان إدوارد يراقبُ نظراته والقلقُ يجتاح قلبهُ المتيمَ بحبها، ثُم قالَ لهُ بصوته الغليظ:

- أترى تلك الفتاة صاحبة الشعر الأسود الطويل؟..

ارتجفَ قلبُ إدوارد خوفًا على سارة «نعم أراها».

جون:

- إنها مهمتك.

ارتبك إدوارد وأعاد النظر إلى سارة التي تابعت طريقها وهي تنظُرُ بين الحين والآخر باتجاهه.

ضحكت إنجلينا ضحكةً ساخرة:

- ما بكَ إدوارد؟ إذا كان قلبكَ لا يقوى على هذا سأقتلها أنا.

جون:

- أينَ نارُ الحماس التي كانت في عينيك.

غضب إدوارد:

- سوفَ أقتلها لكن اصمتا.

نزل إدوارد من السيارة، أغلقَ خلفه الباب بقوة، مشى باتجاه المنزل مسرعًا وهو لا يدري ماذا سيفعل، ونارُ الحزنِ أوقدت في قلبهِ بعد أن أشعلتها مخاوفهُ عليها، وهو يشعرُ أنهُ مقيدُ العقلِ واليدين، رأته سارة التي كانت خارجة من إحدى محلات الحلوياتَ، ندهت لهُ، لكنهُ لم ينتبه لها ولم يسمعها، فقد كانَ عقلهُ شاردًا مهمومًا منفصلًا عن كلِ ما يحيطهُ، مشت مُسرعةً نحوهُ وهي سعيدةٌ لمصادفتها إياه، وضعت يدَها على كتفه برفق.

نظرَ لها فابتسمت وقالت: ما الذي يزعجكَ أيها الوسيم؟

أمسك يدها وقبلهما، ثُمَّ وضع ذراعهُ خلف كتفيها، ونظرَ إليها بحسرة وقرَبها منه قائلًا:

- لا تهتميِّ يا حبيبتي، فأنا بخير.

أوصلها إلى أمام أبنيةِ السكن الجامعي، عانقها بعمق والنار تضرب قلبهُ الصهيوني المحب.

عادَّ إدوارد إلى منزلهِ ليعيشَّ ليلةً من الصراع بين قلبهِ وعقله، فقد كان يشعرُ بأن قلبهُ يكادُ يتمزقُ وعقلهُ سيشلُ منَ كثرةِ التفكير، حاول سيمون أن يفهم ما الذي يحدثُ مع صديقهُ، لكنه أبى أن يتكلم وبقي مستيقظًا طوالَ الليل تعيسًا مُنهكًا، وعندما حلَّ الصباح غَسَلَ وجهه، نَظَرَ للمرآة، ثُم تحدَّثَ في نفسه وهو يحاولُ أن يلغي اعترافَ قلبهِ بالوقوعِ في حبِ سارة، قائلًا:

- يجبُ أن أُنهي هذه المعاناة.. سامحيني سارة...أريد أن أنهي مهمتي لتهجرني هذه المعاناة وهذا الألم...لن أكون ضعيفًا...سامحيني.

ثُمَّ اتصلَّ بها وأخبرها بأن تستعدَ لأنهُ قادمٌ ليأخذها في نزهةٍ، لأن اليوم هو عطلة نهاية الأسبوع.

فرحت سارة، بدأت تُخرِجُ الثياب من خزانتها لتختار الأجمل، وأخذت تنسق المتناسبة مع بعضها وتقيسها لتنتقي الملابس الأكثر جمالًا وأناقة، وهي لا تدري أنَّ كلَ شيءٍ مدبرٌ ليكونَ هذا يومها الأخير وأن بهاء مظهرها لن يبعد الموت الذاهبةِ إليهِ بالرغم منها، كانت تثق بمحبوبها ثقةً عمياء لتراهُ بعينيها البريئتين أفضل تجسيدٍ لعطفِ الخالقِ عليها، كان إدوارد يعني لها الحياة فهي لم تشعر بالحياةِ إلا معهُ، كانَ حلمها أن تصبح طبيبةً وبعد أن عرفته نسيت هذا الحلم وأصبح مناها قربهُ وحلمها بأن يكون لها ويحبها بقدرِ ما تحبهُ، لم تظن يومًا بهِ شرًا ولم يخطر ببالها أن يكون وسيلةَ الموتِ لها ووسيط عزرائيل إلى روحها.

خرجت سارة من غُرفتها مبتسمة، طرقت باب غُرفة جوانا، التي فتحتهُ، كان وجهها شاحبًا ومتعبًا كانت ترتدي ثيابًا سوداء.

نظرَت إليها سارة قلقةً وقالت: ما بكِ؟..ماذا حدث؟.. منذُ البارحة وأنا أطرقُ الباب وأنتِ لا تفتحين...قلقتُ عليكِ.

ردت جوانا وهي تبكي:

– لقد توفيت والدتي.. وأنا الآن ذاهبة إلى المطار لأعودَ إلى لبنان.. لم أستطع البارحة رؤية أحد.

حضنت سارة جوانا التي كانت تبكي بحرقة وتكادُ روحها أن تخرُجَ مع دموعها، وبياضُ عينيها أصبحَ أحمرًا كالدماءِ من شدةِ البكاء، وسارة تحاولُ أن تهدِّئ ألمها.

ودعت جوانا سارة ثمَّ خرجت من السكنِ الجامعي وحدها، استقلت سيارة أجرة للذهابِ إلى المطار بعد أن رفضت طلب سارة بالمجيء معها.

عزيمة مترددة

وضع إدوارد مستلزمات النزهة في سيارته، انطلق باتجاه السكن الجامعي وملامح وجههُ غير واضحة التفسير، قلبهُ يضُخ دم الحقدِ والحُبِ معًا.

عندما وصلت السيارة إلى باب السكن اتصل بها، طلب منها المجيء وهو مترددٌ كأنهُ يتمنى أن يحدثَ إعجازٌ تنتهي بهِ كل معاناتهِ دون أن يؤذيَ عدوتهُ الحبيبة، التي جاءت وهي ترتدي ثيابًا أنيقة وتبدو بأبهى حُلّة، محاولةً إخفاءَ حزنها على حال صديقتها، جلست بجوارِه فعانقها وطَبَعَ على خَدِها قُبلةً رقيقة.

انطلقت السيارة، وإدوارد ينظُرُ بينَ الحين والآخر نحو سارة قلقًا ثم قالَ لها:

- أشعُرُ أنكِ لستِ على ما يرام ما بكِ؟

ابتسمت سارة ابتسامةً حزينةً، أخفت غصّةً في قلبها وقالت:

– أنا قلقة على جوانا توفيَت والدتها.

ثُم انهمرت بالبُكاء واضعةً يديها على فمها، قالت بصوتٍ رقيقٍ قد غلبت عليهِ غصاتُ البكاء:

– لقد تَذكرتُ والدي وصديقتي ريم.

أوقفَّ إدوارد السيارة، حضن سارة بعد أن مسحَ دموعها وقال لها:

- لا تبكي...فبُكاؤكِ يحطم قلبي.

سارة:

- إن ألم فُراق من نحب يكسرُ الروح.

نَظَر إدوارد إليها بحسرة ثُم قال في نفسه: لا يجبُ أن أكونَ ضعيفًا.. أنا أقوى من ذلك.

أبعدها عنهُ بلطف ثم أكمل طريقهُ، وهو ينظُرُ إليها بين الحين والآخر، كأن عينيه تغني ترانيمَ الوداع.

الجريمة النكراء

توقفت السيارة بجوار الغابة التي كانت مليئة بالأشجار الكثيفة الخضراء، تَعجبت سارة لجمال المناظر وروعتها، مسكينةٌ لم تكن تعلم بأن الغابة ستكونُ كفنًا يُحيكُهُ لها عاشقها الوسيم.

مشى إدوارد وسارة قليلًا بالغابة، توقفا في فسحةٍ بين مجموعةٍ من الأشجار، وضع يدهُ على شعرها برفق وهو ينظُرُ إلى عينيها وقال:

- تجوَّلي في الغابة واجلبي بعض الحصا والأخشاب لنوقد النار، ريثما أجلب الأغراض التي في السيارة؟.
- لكنني أخافُ من الوحوش أو أن أتوه... لماذا لم تحضر موقدَ الغازِ الصغير؟.
- لقد نسيت إحضاره... ما من شيءٍ مخيف اسبقيني هيّا وسوفَ أتبعُكِ بعد قليل؟.

مشت سارة في الغابة حيثُ كانت الأشجار تزدادُ كثافةً، مع التقدم فيها وهي تجمعُ الحصا من الأرض شاردةً تفكرُ في إدوارد وتتذكرُ لحظاتهما الجميلة وحبه قد سيطرَ على كيانها.

أحضَرَ إدوارد مسدّسهُ من السيارة، ويدهُ التي كانَ يلامسُ بها دومًا شعرَ حبيبتهِ وملامحَ وجهها ترتجفُ وهي تمسكُ المسدس وكأنها كانت تريدُ أن تبقى وفيةً لحبِها، لكنَّ عقلهُ الحاقد أجبره على فعلِ ما لا

يريد وتبعها حتى وصلت إلى مكانٍ متقدم من الغابة، وهو يختبئ خلف الأشجار التي منعتها كثافتها من رؤيته محاولًا أن يكونَ قويًا جبارًا.

وقف خلف أحد الأشجار، ينظُرُ إليها وقلبهُ يكادُ ينفطر ثُمَّ أغمض عينيهِ وتنهدَّ ليطفئ نار قلبه فنظر إليها وقال في نفسه:

- سأفعلها..إنها عقيدتي.

وجّه المسدس نحوها بينما كانت تستدير للعودة وأغمض عينيه ويده ترتجف، ثم أطلق الرصاصة الأولى التي اخترقت بطنها ثم أطلق الرصاصة الثانية بجهة قلبها.

التفتت سارة حولها دون أن تعلم مصدر الرصاصتين اللتين اخترقتا جسدها، ثُمَّ وقعت على الأرض وهي تحاولُ أن تزحفَ باتجاه طريق العودة، تقولُ بصوتٍ متألم بالكادِ يخرُجُ من فمها:

- إدوارد ساعدني..إدوارد أنا هنا....ساعدني.

ترقرقت الدموعُ في عيني إدوارد، كان ينظُرُ إليها وكأن روحهُ تغادرُ جسده، وصوتها الموجوع ينهشُ قلبهُ.

ولبرهةٍ تقدمّ خطوةً نحوها لمساعدتها لكنه مسح دمعتهُ التي سقطت ونظرَ إليها نظرتهُ الأخيرة، وقد فقدت وعيها تمامًا وجلس يبكي خلف الشجرة التي كان واقفًا عندها.

عادَ إدوارد أدراجهُ حيث صعدَ سيارتهُ، جلس وهوَ يضربُ المقودَّ بكفي يديهِ والدموعَ تنهمرُ من عينيه، ثُمَّ قادَها مكملًا طريقهُ وكأنهُ قد تركَ روحهُ تموتُ بين أشجارِ الغابة.

توقفت السيارة أمام أحد محلات بيع التبغ القريبة من الغابة، مسحَ عن وجههِ غُبارَ الحزنِ واستجمعَ قواهُ ودخل إلى المحل حيث كان صديقهُ جون هو البائع.

جلسَ إدوارد على كرسيٍّ فارغٍ في المحل، نظَرَ إلى جون وقال بحزم:

– لقد قتلتها.. جثتها بقيت في الغابة.. إذا طلبتني الشرطة للتحقيق سأخبرهم كما اتفقنا.

ضحكَ جون وضربَ على كتفِ إدوارد بيده البدينة قائلًا:

– أنت مجتهدٌ في عملكَ وجاد كأبيك تمامًا.. ليباركَ الرب.

ابتسم إدوارد ابتسامةً تحكي في خفاياها حزنًا كبيرًا غَمَرَ قلبه وأنهكَ نفسهُ، ثُمَّ غادرَ عائدًا إلى منزلهِ محطم الروح مدمى الفؤاد.

كان أحدُ الحطّابينَ يتجولُ في الغابة، فرأى سارة ملقاةً على الأرض، اقتربَ منها خائفًا وحاولَ إعادتها لوعيها في حين كانت هي بالكادِ تقوى على التنفس فحملها مُسرعًا إلى حيث كان قد أوقف سيارتهُ وهو حزينٌ لحالها السيءِ، مستغربًا كيفَ لأحد أن يحاول قتل فتاةٍ طفوليةِ الملامح وجميلةً مثلها، قاد سيارتهُ وذهب بها إلى أقرب مستشفى وسلمها للأطباءَ والممرضينَ الذين سارعوا لإنقاذِ حياتها التي تكاد تهجرها.

حلَّ المساءُ وكان مساءًا عاتمًا ذرفت فيه السماءِ الأمطار كأنها تبكي، وكان صوتُ الريحِ كصوتِ نحيبِ امرأةٍ مفجوعة.

كانَّ إدوارد جالسًا يشرب الخمر في غرفتهِ التي كانت مليئةً بقوارير الخمر الفارغة، وهو ينظُرُ إلى صورِ سارة، ويتذكرُ كيف تركها تموت،

يتذكرُ كيف استنجدت بهِ ولم يُجب، كانَ الحزنُ يخيّمُ على قلبه، والدموع تغمُر عينيهِ اللتين أصبح بياضهما محمرًّا من السهرِ والحزن، دخل سيمون إليه ينظرُ إلى حالهِ مُستغربًا.

سيمون: لم أعهدكَ بهذا الضعفِ من قبل...ماذا حدث؟

ضحكَ إدوارد ضحكةً مليئةً بالبكاء قائلًا:

- لقد كانت محقة.. إن ألم فراق من نحب يكسرُ الروح.

- إدوارد هل جننت!.. أخبرني ماذا حدث؟

صَرَخَ إدوارد بصوتٍ ملأَ المنزل بأسره:

- اتركني وشأني...لا أُريدُ رؤيةَ أحد».

في الوقت الذي كانت فيهِ سارة تصارعُ الموتَ في غُرفةِ العنايةِ المشددة دون أن يتعرف أحدٌ على هويتها، فصوتُ الأسلاكِ والأجهزةِ الطبية كان يملأُ الغرفة التي كانت كصالة للأطباء والممرضات فكان الجميع يبدي أسفهُ لحالها يتمنون لها الشفاء فقد كانت نقية وهادئةً كملاكٍ معلقٍ بينَ الموتِ والحياة.

وبعد مرور أسبوع أمضاهُ إدوارد في غُرفتهِ بين قوارير النبيذ، يرفُضُ رؤيةَ أحد، مُستلقيًا يشاهدُ صور سارة ويسترجع ذكرياتهِ معها، فترتسم على وجهه ابتسامةٌ خائبةٌ بأشياء لن تعود عليه وعلى خديهِ بغير دموعٌ خرجت من قلبهِ لتخترقَ عينيهِ وتحرقَ خديهِ بحرارتها، لقد أسرهُ الحزنُ واستملكهُ طيفها، لم يكن يتوقع أن يكون وقع رحيلها مؤلمًا هكذا.

في ذلك الصباح الهادئ الذي كان نسيمهُ يبعثُ النشاطَ والأمل في النفوس، فتحت سارة عينيها كأن هذا الصباح قد ولدت فيهِ، حياةٌ جديدةٌ لها بعد غيبوبةٍ دامت أسبوعًا لتجد نفسها في المستشفى وبجانبها ممرضة في الخمسينات من العُمر، وكان يمرُ في فكرها طيفُ ما حدثَ في ذلك اليوم.

نظرت الممرضة إليها، كانت سعيدةً باستعادتها لوعيها، قالت لها: نحمدُ الرب أنكِ بخير يا ابنتي، لقد قلقتُ عليكِ، فقد كان وضعكِ حرجًا.

ابتسمت سارة، ردت بصوتها المُتعبِ المريض:

– لقد ظننتُ أنني فقدتُ الحياة، أين الشاب الذي كان معي؟

استغربت الممرضة سؤالها وردت:

– لقد أحضركِ حطابٌ كان في تلك الغابة، لم يكن هناك أيُ شاب.

سارة: لقد كان في جيب بنطالي هاتفٌ نقال أيمكنكِ أن تحضريهِ لي.

الممرضة: سأجلب الطبيب أولًا لأطمئن عليكِ ثُم أُعطيكِ إياه.

كابوس

كان إدوارد نائمًا عل سريره يحلُمُ بأن سارة مستلقية في وسط الغابة المظلمة، والغربانُ والذئاب تنهشُ من جسدها المُدمَّى، وهي مذعورةٌ تنظرُ إليهِ وتمدُ ذراعها نحوه

تقول: إدوارد أرجوك ساعدني لا تتركني أموت....ساعدني إدوارد.

استيقظَّ إدوارد من الكابوس المخيف وهوَّ متعرقٌ من شدة الخوف، ثم جلس واضعًا كفيه على وجهه وصرخَ بصوتٍ عالٍ:

- لم أعد أستطيع تحمل كل هذا» ثم وقف وبدأ يُمسكُ بقوارير النبيذ كل واحدة على حدة ويضربها بالأرض لتتحطم

دخل سيمون الغرفة مُسرعًا وصرخ:

- ما بكَ؟..هل جننت؟

صَرَخَ إدوارد:

- سيمون اتركني وشأني.. اخرج وأغلق الباب خلفك.

خرجَ سيمون من الغرفة غاضبًا، أغلق خلفهُ الباب بقوة، بينما جلس إدوارد على السرير والدموعُ تغمُرُ عينيه وقالَ بصوتٍ مُتحطمٍ مهزوم:

- ليتكِ تعلمين بأنني قتلتُ نفسي حينَ قتلتُكِ.

شوق

أحضرت الممرضة الهاتف المحمول لسارة بعد أن شحنتهُ لها قليلًا من مأخذ الكهرباء، اتصلت بإدوارد.

وحينَ سمعَ إدوارد صوت رنين هاتفهِ الذي كان بجانبهِ على السرير، أمسكَ الهاتف وألقى بهِ على الأرض بقوة دون أن يرى من المتصل، لقد كان يظنُ أن سارة فقدت حياتها ولم يعد يشعرُ برغبةٍ بشيءٍ بعد رحيلها، حتى أنفاسهُ التي كان يلتقطها كانَ قد سئمَ منها.

حاولت سارة الاتصال مجددًا، لكنَّ الرقم كانَ مُغلقًا، ثُم أعادت الاتصال على الهاتف الأرضي الذي كان موجودًا في الصالة وكان رنينهُ واضحًا، لكن إدوارد لم يكترث لشيء، فقد أخرج المسدس من مكانهِ بجانب السرير ووجههُ نحو رأسه وهو يقول: سوف آتي إليكِ فقد أذاب الشوق قلبي.

دخلَ سيمون وهو يحمل الهاتفَ الأرضي إلى غُرفةَ إدوارد، فأنزل إدوارد المسدس بسرعة دون أن ينتبه لهُ سيمون

سيمون: هناكَ فتاةٌ تريدُ الحديثَ معك.

إدوارد بغضب: لقد قلتُ لكَ ألف مرة لا أُريدُ التحدُثَ مع أحد.

ابتسم سيمون: لكنها سارة.

تفاجأ إدوارد، ونَظَرَ إلى سيمون بدهشة: مَنْ... سارة...؟

سيمون: حبيبتُك سارة..حسنًا سأخبرها أنك لا تريد التحدُث.

أسرع إدوارد وأمسك الهاتف، تحّدثَ بلهفة وكأنَّ قلبهُ قد نبضَ من جديد «سارة؟».

ضحكت سارة: أجل.

ابتسم إدوارد: ظهرت تعابير الفرح على وجههِ الشاحبِ، كأنهُ ميتٌ عاد للحياة.

قال لها بلهفة: «أينَ أنتِ.. اشتقتُ لكِ كثيرًا.. ماذا حدث؟».

سارة: «أنا في المستشفى وأنا اشتقت لك.. تكلَّم مع الممرضة لتعطيكَ العنوان، وسأُخبرُكَ بكل شيء لاحقًا».

تحدثت الممرضة مع إدوارد الذي كان قلبهُ يضحكُ فرحًا، وبعد انتهاء المكالمة قام بغسلِ وجههِ وتبديلِ ملابسهِ، وسيمون ينظُرُ لهُ متعجبًا لحالِهِ التي أصبحَ عليها بعد هذه المكالمة.

صَعَدَ سيارتهُ وقادها بسُرعة متجهًا نحوَّ المستشفى والسعادةُ استحوذت على كلِ شيءٍ فيهِ.

عندما وصلَّ إلى المستشفى صعدَ مسرعًا نحو غُرفةِ سارة، وعندَ وصوله ابتسمت لهُ وكانت شبه جالسة، فوقف أمامها ونظَرَ إليها وكانَّ الحبُ يلمعُ في عينيه اللتيْن امتلأتا بدموع الفرح، ثُمَّ اقترب منها وقبّل يديها ثُمَّ طبعَّ قبلتين رقيقتين على وجنتيها وبقي ممسكًا يديها فهو لم يكن مصدقًا أنها أمامهُ.

نظرت سارة إليهِ نظرة ملؤها العتاب قائلة:

- أين كنت؟.. لقد كدتُ أموت.

ارتبك إدوارد ولم يستطع النظرَ في عينيها، وقال:

- لقد نفذت مني السجائر.. فذهبتُ لشرائها من محلٍّ قريبٍ من الغابة وحينَ عدت كدتُ أن أضيعَ في الغابة وأنا أبحثُ عنك ماذا حدث؟

رَدَت سارة بحزن وصوتٍ متألم:

- لقد حاول أحدهم قتلي، وأنقذني حطابٌ كانَ هناك.

ثُم مسحت دموعًا نزلت من عينيها:

- لماذا يريدون قتلي، أنا لم أوْذِ أحدًا؟

أخفضَ إدوارد رأسهُ، فشعورهُ بالذنب كانَ يُدمي قلبهُ، فوضعت يدها على وجههِ وقالت لهُ بصوتها الرقيق الحنون: لا تحزن أنا الآن بخير وما يهمني أنك بجانبي.

أمسكَ إدوارد يدها التي على خده وقبلها، ثُم نظرَ إلى عينيها:

- سامحيني لأنني تركتُكِ وحيدة.

دخلت المحققة لتسأل سارة حول الحادثة، رفضت سارة تقديم شكوى، وطلبت من المحققة أن تغلق القضية لأنها متعبة ولا ترغب بالإجابة عن شيء.

بعد يومين أمضاهما إدوارد عند سارة بالمستشفى يعتني بها،

ويطعمها الطعام بيده، قرر الطبيب تخريجها لتحسِّنِ صحتها واستقرار حالها.

دفع إدوارد كُل التكاليف اللازمة للمشفى، ثُمَّ صعد لغرفةِ سارة، قام بمساعدتها للوصول إلى السيارة.

لم تكن سارة تستطيع النزول من درج المستشفى الذي كانَ بعد الباب الخارجي، فقام بحملها وأدخلها السيارة بلطف، ثم صعد بجانبها متجهين نحو منزل إدوارد، وهو سعيد بوجودها بقربه فقد كانت هديةَ الرحمن لهُ بعد ذنبهِ المخفي.

وصلت السيارة إلى أمام المنزل، نزل إدوارد ثُمَّ فتح باب المنزل، قامَ بحمل سارة إلى الداخل، أخذ سيمون الذي كان جالسًا في الصالةِ يرحبُ بهم.

أدخل إدوارد سارة ووضعها في غرفتهِ على سريرهِ، ودخل سيمون خلفهما، جلس على الكرسي الذي بجانب السرير وهنأ سارة بسلامتها وأخذ يحدثُها ويشرحُ لها حالَ إدوارد عند غيابها، بينما كان إدوارد الجالس بقربها يطلبُ منه الصمت لكنهُ لم يكن يأبه لهُ وكانَ يكمل كلامهُ.

وقف إدوارد وقبّل سارة من رأسها ثُمَّ قال:

- أنا ذاهبٌ لأجلب بعض الاحتياجات من السوق وبعض الطعام...سيمون اعتنِ بسارة ريثما أعود ولا تفتح الباب لأحد.

سارة: «لا داعي لأن تذهب، أود العودة للسكن الجامعي بعد قليل، فأنا أريدُ رؤية جوانا أيضًا».

إدوارد: «ستبقين هنا.. وانتهى الأمر».

سيمون: «لقد تذكرت أتت جوانا إلى هنا وطلبت مني أن أخبرَ إدوارد أن يخبركِ أنها ستعودُ للعيش في لبنان لرعاية إخوتها وأنها ستُحادثُكِ عبر الفيس بوك».

بدت ملامحُ الحزنِ على وجه سارة الطفولي لبقائها وحيدةً بعد مقتلِ ريم وعودةِ جوانا، أصرت على العودة إلى السكن الجامعي لكن إدوارَد لم يسمح لها بذلك.

خرجَ إدوارد من الغرفة ذاهبًا لإحضار الحاجات، فتبعهُ سيمون ووقفَ يكلمهُ بالصالة.

سيمون: «أظنها لا ترغب بالبقاء هنا لأنها شرقية».

إدوارد: «وما المشكلة فيها إذا كانت شرقية».

سيمون: «في الشرق: الفتاة لا تبقى مع رجل لوحدهما في غُرفةٍ واحدة إلا إذا كانَ زوجها».

إدوارد «حقًّا!!؟؟؟ لا تقلق سأتدبرُ الأمر عند عودتي...احرص ألَّا تفتح الباب لأحد».

سيمون: «ممَّ أنت خائف؟».

إدوارد: «لا أريدُ لأحد أن يحاول إيذاءها مرة أخرى...أرجوك افعل ما أطلبهُ منك».

خرجَ إدوارد بسيارتهِ نحوَ المصرف وسحب قدرًا من المال بقدر ما يحتاج، ثُم توجهَ إلى أحد محلات بيع المجوهرات وأخذ ينتقي خاتمًا للزواج بمساعدةِ الصائغة الشابة التي أخذت تجرب لهُ الخواتم واحدًا تلو الآخر على إصبعها «البنصر» ليرى أيُهم الأجمل فانتقى أجملها شاكرًا لها ثم توجه إلى أحدِ محلات الملابس واشترى بعض الملابس الفضفاضة لسارة كي لا تؤلمها إصاباتها آملًا أن يعجبها ما انتقاه لها، أخذ يتأملُ فساتين الزفاف متشوقًا لرؤيةِ سارة ترتدي أحدها عمَّا قريب، ثُمَّ جلبَ بعض البيتزا والشطائر وقارورة من شراب البرتقال الذي تحبهُ محبوبتهُ، وضع جميع ما اشتراه في السيارة عائدًا إلى المنزلِ وهو في قمةِ الحيويةِ والانشراح.

في المساء أحضر إدوارد العصير والفواكه إلى غُرفة سارة، طرقَ الباب بلطف، ثُمَّ دَخَلَ ليجدها نائمة، وضع الصينية التي يحملها على الطاولةِ التي بجوار السرير، جلس بجانبها وأخذ يمرر يدهُ على وجهها بلطفِ، ثُمَّ على شعرها وهو يتأملُ ملامحها العفوية، فتحت عينيها بلطفٍ، نظرت إليهِ مبتسمة فطبع قبلةً رقيقةً على جبينها قائلًا:

- أنا متأسفٌ لم أقصد إيقاظكِ.

ردت بصوتها الناعس الرقيق:

- لا بأس فلقد نمت بما يكفي.

أمسك بكأس العصير، طلب منها أن تشرب، ابتسمت قائلة:

- أرجوك يكفي سيزداد وزني هكذا لقد أطعمتني وأشربتني بما يعادلُ طعامي لبضعةِ أيام.

ضحك قائلًا:

- اشربي قليلًا لأجلي، أريد أن تتحسن صحتكِ بسرعة، وأنتِ جميلةٌ بجميعِ حالاتكِ لن ينقصَ ازدياد الوزن من حبي لكِ شيئًا.

شربت قليلًا، وأعاد الكأس إلى مكانه، ثُمَّ أخرجَ علبةً حمراء من جيبه وفتحها، وكانَ بداخلها خاتمُ الزواجِ ثُمّ نظرَ إليها وقال مرتبكًا:

- أتتزوجيني؟

تفاجأت سارة، وضعت كفيها على فمها، وبريقُ الفرحة يلمعُ في عينيها، ثُمَّ تذكرت اختلافُ الدينِ الذي يشكلُ عائقًا بالنسبةِ لها فقالت:

- أتمنى هذا.. لكن.... لكن لا أستطيع.

رد إدوارد خائبًا: لماذا؟؟؟؟؟

سارة: «أنا مسلمة..وأنت مسيحي».

ابتسم إدوارد ثُمَّ ضحكَ ونَظَرَ إلى عينيها بحزن:

- مسيحي!....من أخبركِ بهذا؟

سارة: «ذكائي الباهر ودقة ملاحظتي أخبرتني... فقد رأيتُ إشارة الصليب في الصالة».

ضحكَ إدوارد ضحكةً طويلة، وضعَ يده على خدها«لكن هذه الإشارة تخصُ سيمون.. لا دخلَ لي بها».

تحمست سارة واقتربت منهُ والفرحُ قد ظهر على وجهها:

- حقًا!!...أنت مسلم؟

ارتبك إدوارد ووضع العلبة الحمراء على الطاولة بجانبِ السرير:

- أكرهُ أن أُخيِّبَ ظنكِ.

صمت قليلًا ثُمَّ أكملَ كلامهُ:

- لكنني يهودي.

ابتسمت سارة وهي تحاولُ إخفاءَ صدمتها، مسحت بيدها على شعره قائلة:

- أنا آسفة لم أقصد إزعاجك.. لكنني لا أستطيعُ أن أتزوج من غيرِ ديني.

ابتسمَ إدوارد ابتسامة يحرقُ ظلها قلبهُ «لم أنزعج.. سأبقي الخاتم هنا، وإذا غيرتِ رأيك ضعيهِ في إصبعكِ».

ثُمَّ نهضَ ليخرجَ من الغرفة، أمسكت سارة بيدهِ بلطف قائلة: «أرجوك لا تحزن.. ابقَ جالسًا معي».

فأمسك يدها وقبلها متظاهرًا بأن قلبهُ لا يحترق، وقال بصوتٍ مختنق:

- لم أحزن...لدي بعض الأعمال.

خرجَ إدوارد مكسورَ الوجدان وجلس في الصالة، أشعلَ سيجارة

وبدأ بالتدخين، ثُمَّ سكبَ كاسًا من النبيذ وهو حزينٌ خائب، في حين خرجَ سيمون من غُرفتهِ وجلس بجانبه وقال: ما بكَ؟.

ردَ إدوارد وهو يُدخنُ بحرقةِ قلبٍ «لقد رفضت الزواج مني...لا تريدُ الزواج إلا من مسلم»فأطفأ سيجارتهُ بيده بغضب وقال بصوتٍ منخفض «لقد ظننتُها تُحبني».

سيمون: «المسلمة لا تستطيعُ الزواجَ إلا من مُسلم، دينها لا يسمح لها بغيرِ ذلك» ثُمَّ ضحكَ مُستهزئًا ساخرًا « غيّر دينك لأجلها».

إدوارد: «إنهُ موضوعٌ صعبٌ بالنسبة لي»ثُمَّ أخفضَ صوتهُ قائلًا: «خصوصًا أني أكرههم».

سيمون: «إذًا افعل ما شئت».

في صباح اليوم التالي استيقظَ إدوارد الذي كان نائمًا في الصالة على الأريكة، غسلَ وجهه ثُمّ دخلَ إلى غُرفته حيثُ كانت سارة ماتزال نائمة والخاتم بجانبها، فقبلها من رأسها ماسحًا بيدِه على شعرِها، ثُمّ خرَجَ من غُرفتهِ ودخلَ المطبخ، وأخذَ الأدوات اللازمة لغسيلِ السيارة، وخَرَجَ باتجاه سيارتهِ التي كانت بجوار المنزل تاركًا البابَ وراءه شبه مُغلق.

أخذَ إدوارد يغسلُ سيارتهُ وهو شارد يُفكرُ بكلام سارة وسيمون ويشعر بالخيبةِ من ردٍ غير متوقع من سارة فهو يحبها ويَتمناها كشريكة لحياتهِ وأم لأطفالهِ فقد عرف ما تعنيهِ لهُ منذُ ظن أنهُ فقدها لكنهُ بالمقابلِ

لا يستطيعُ تغييرَ دينهِ وعقيدتهِ، فكيف لهُ أن يتخلى عن أفكار تغذى بها منذُ الطفولة لتكبرَ فيهِ ويستثني فقط محبوبتهِ من هذه المعتقدات التي كادت أن تودي بحياتها يومًا فأصبحت هي الاستثناءُ في صهيونته.

كانت إنجلينا ماشيةً نحو منزلِ إدوارد متشوقةً لرؤيتهِ، وقضاءِ وقت جميلٍ معه، فقد أهملها كثيرًا منذ فترةٍ مضت.

وصلتْ إلى المنزلِ دون أن يلحظ إدوارا الشارد قدومها، ولم تنتبه هي بوجودهِ في الجهةِ الأخرى من طريق المنزلِ يغسلُ السيارة.

وعندما وقفت أمامَ البابِ لتطرقهُ لاحظت أنهُ ليس مغلقًا فدخلت مبتسمةً لأنها أرادت أن تفاجئ محبوبها بإيقاظهِ فهو يكون نائمًا غالبًا في مثل هذا الوقت دون أن تعلم أن الأرق قد استباح نومهُ الليلة ليذكرهُ في كل حينٍ بحبه لمن لا تريد أن تكون لهُ.

كشف الستار

لاحظَ إدوارد أن طيف أحد دخلَ المنزل، فترَكَ الأدوات التي بيدهِ وركض باتجاه المنزلِ مسرعًا وعندما وصلَ إلى باب المنزل ورأى إنجلينا نادى مرتبكًا: «إنجلينا أنا هنا».

كانت إنجلينا على وشك فتح باب الغرفة، لكن حين سمعت صوتَ إدوارد الذي كانَ واقفًا عند الباب اقتربت منهُ وعناقتهُ «حبيبي اشتقتُ لك كثيرًا أين كنت طوال الأسبوع الفائت؟».

رد إدوارد مُرتبكًا خائفًا: «كنتُ في زيارةٍ عند أحد الأصدقاء».

أثارت نظرات إدوارد المتقطعة نحو باب الغرفة وارتباكهُ شك إنجليبا، توجهت نحو الغرفة فتحت بابها، أمسكَ يدها بقوة ليدفعها إلى الخارج قبل دخولها ورؤية سارة، لكن إنجلينا تشبثت جيدًا بالجدار المجاور للباب من الداخل استطاعت الدخول وهي تصرُخ:

- أُريدُ أن أعرِفَ ماذا تُخفي.

نظرت إنجلينا إلى سارة التي كانت استيقظت عند سماعها الصراخ والخوفُ يملأُ قلبها، ثُمَّ أشارت إنجلينا بسبابةِ يدها نحوها«أليست هذه الفتاة العربية الوضيعة.. ألم تمت بعد!!».

صفعَ إدوارد إنجلينا وصرخَ بصوتٍ مرتفع: «اصمتي».

إنجلينا: «تصفعني من أجلها!!لقد خدعتنا ألم تقُل بأنك قتلتها!!».

نظرت سارة إلى إدوارد ثم إلى إنجلينا، كأن أحدهم أضرم نارًا ليكوي قلبها، نَظَرَ إدوارد إلى سارة وهو لا يدري ماذا يقول، وكأن عينيه كانت تطلُبُ العفو.

اقتربت إنجلينا ونظرت إلى العلبةِ الحمراء الصغيرة، امتلأَ قلبها بالحقد وشرارة الكرهِ تُوقدُ في عينيها، اقتربت من سارة التي كانت واضعةً كفيها على وجهها وغارقةً في دموعِ خيبتها وهي لا تصدقُ ما سمعت والتعاسةُ تخنقُ قلبها.

نظرت إنجلينا إلى إدوارد، ثُم اقتربت من سارة قائلة: لم تقتلها أنت لكن سأقتُلها أنا.

أمسكتها من شعرها، رفعت وجهها، اقترب إدوارد مُحاولًا إبعادها عنها، لكن إنجلينا لم تكن تبتعد فقد كانت واضعةً كفيّ يديها على عُنقِ سارة تحاولُ خنقها، أخرجَ إدوارد المسدس من مكانهِ في درج الطاولة وقال لها بغضب: ابتعدي وإلا قتلتك.

ابتعدت إنجلينا عن سارة التي أُغميَّ عليها، نظرت إلى إدوارد بعينين حاقدتين: «سيأتي يومٌ وأقتلها».

أمسكَها من شعرها صفعها أربع صفعات متتالية، ثُمَّ جرها بقوة وهي تصرخُ مُتألمة وألقى بها خارج المنزل وأغلق الباب خلفها.

دخلَ إدوارد إلى الغرفةِ مجددًا، اقترب من سارة، أخذَ يُبللُ وجهها بالماء الموجود في القارورة التي كانت بجوارها، فتحت سارة عينيها وحين رأت إدوارد دفعتهُ بذراعيها:

- ابتعد عني لا أُريدُ أن أراك.

- أنا آسف أرجوكِ سأفعلُ كُل ما تريدين.

أمسك بيديها وقبلهما: «سامحيني أتوسلُ إليكِ».

كانت الدموع تسقط من عينيها وهي تنظُرُ لهُ بنظراتٍ كادت تقتلعُ قلبهُ، وهي تتحدثُ بصوتها الرقيق الباكي:

- لا أصدقُ أنكَ فعلتَ هذا كنت تريدُ قتلي وكنت أستنجدُ باسمكَ لتساعدني، لم يخطر ببالي أن تكون أنت...أنا أكرهك.

أمسكت العلبة الحمراء وألقت بها على الأرض بقوة، اقترب منها محاولًا عناقها لعلها تهدأ، لكنها كانت تدفعهُ بيديها وهي تصرخ وكأنَ قلبها من كان يبكي: اخرج لا أريدُ أن أراك.

خرَجَ إدوارد من الغرفة، وجلسَ في الصالة والحزنُ حطم قلبه، والذنبُ أنهكَ روحهُ التائهة التي لا تدري ما تفعل، والدموع تتساقطُ من عينيهِ وفي كلِ مرةٍ يحاولُ فيها إخفاءها يغصُ فيها لتنغرس كقطع زجاجٍ منكسرٍ في قلبه، كان يعلم أن ما علمت بهِ سارة كان كفيلًا لأنَ يقطعَ علاقتهما به قطعًا تامًا، ماذا سيفعلُ لو أنَ الفتاة الوحيدةَ التي أحبها كرهتهُ حقًا؟ ماذا سيفعلُ لو فقدها من جديد بعد أن أصبح حبها يركن بين نبضات قلبهِ؟ كيفَ سيجبرها أن تحبهُ من جديد؟ كيف سيرمم فؤادها الذي مزقهُ بما فعل؟ هل سيحضنها من جديد دون أن يرى خوفها منهُ وانعدام ثقتها بهِ كلها أفكارٌ كانت تأكل قلبهُ وعقلهُ معًا.

عقاب

فتح سيمون باب المنزل، دخل ليجد إدوارد جالسًا حزينًا، أخذَ يكلمهُ ويسألهُ عن حالِه لكنهُ لا يجيب.

دخلَ إلى غُرفةَ سارة التي كانت جالسةً على السرير وقد بدلت ملابسها مستعدةً للرحيل، والدموعُ أغرقت خديها، اقترب سيمون منها:

- سارة ما بكِ؟
- هل أنت أيضًا أردت قتلي؟
- عن ماذا تتحدثين!!؟
- ألا تعلم بما فعلهُ صديقُك؟
- لا...ماذا فعل؟
- اسألهُ كي يُخبرك
- أخبريني أنتِ
- أرجوك أريدُ الذهاب، لا أرغب بالحديثِ عن شيء.

خرجت سارة من الغرفة بخطواتٍ بطيئة بسبب إصاباتها التي مازالت تؤلمها، تبعها سيمون.

نَظَرَ إدوارد لها ثُمَّ توقفَ أمامها:

- أرجوكِ لا تذهبي، ابْقِ هنا.. على الأقل ريثما تتحسنين.

نظرت لهُ سارة باستهزاء:

- أحقًا يُهمُكَ أمري؟...

لقد رفضتُ العودة بعد قتل ريم لأجلِ أن أبقى بقربك لكنني كنتُ حملًا ثقيلًا أردتَ التخلصَ منه».

بدت الدهشة على وجه سيمون، نظرَ إلى إدوارد:

– إدوارد ماذا فعلت؟

– لم يفعل شيئًا..لكن أطلب منهُ أن يبتعد عن طريقي لأذهب.

– بلى قد فعلت.. وإن كان تسليم نفسي للشرطة سيغفرُ ذنبي فأنا سأُسلمُ نفسي.

سيمون:

– هل أنت من أطلقت النارَ عليها!

إدوارد والدموعُ تتساقطُ من عينيه:

– أجل... لكنني ندمتُ كثيرًا، وذُقت مرارةَ فراقها، لقد رأيتني كيفَ كانَ حالي من ثلاثةِ أيام.

– لكن لماذا؟؟؟؟

سارة: «لأنني عربية أو مسلمة أو ربما للسببينِ معًا».

صُعِقَ سيمون بكلام سارة، فَنَظَرَ إلى إدوارد الذي طأطأ رأسهُ من قُبح ذنبه، دخلَ غُرفتهُ وهو غاضبٌ من فعل إدوارد وأغلق الباب خلَفَهُ بقوة.

وضعَ إدوارد كفَ يدهِ على خد سارة برفق، فوضعت هيَ يدها على يدهِ وأبعدتها بقوة، ثُم قال:

- أرجوكِ ابْقي الآن... أرجوكِ لأجل الأيامِ الجميلة التي قضيناها معًا.

كانت سارة تستجمعُ قواها وتتظاهرُ بالقوة لتخفي ضعفَ قلبها الذي تيمهُ حبه، جلست على الكرسيّ في الصالة ثُمَّ نظرت إليهِ وتنهدت تنهيدةً عميقة قائلةً:

- لأجلِ أيامنا معًا، ساعدني.

- كيف أُساعدُكِ؟

- أُريدُ أن أذهب الآن إلى غُرفتي في السكن الجامعي لأحزم أمتعتي، وأريدُك أن تحجز لي بإحدى الطائرات المتوجهة إلى لبنان غدًا، وسأُرسل لك التكاليف فيما بعد، فقد سُرقت معظم أموالي عندما قُتلت ريم.

كانَ إدوارد واقفًا ليسَ بيده حيلة، حزينًا غطىَّ الذنبُ قُوتهُ وجبروته:

- سأفعلُ ما تريدين لكن سأذهبُ معكِ ونحضر الأمتعة وتبقين هنا ريثما يحينُ موعدُ الطائرة.. ولا أريدُ نقودًا فأنتِ أغلى عندي من أي شيء».

الرحيل

صعدت سارة مع إدوارد إلى السيارة، ذهبا باتجاه السكن الجامعي حزمت أمتعتها، قامَ إدوارد بوضع الأمتعة في صندوق السيارة، بينما ودّعت صديقاتها في الغُرف المجاورة.

خرجت من الباب الرئيسي، التفتت إلى أبنية السكن وكانت نظراتُها تتجوَّل بين الأبنية واحدًا تلو الآخر مودعةً إياها وروحها تنشطر حزنًا، بينما كان إدوارد ينظُرُ إليها من أمام سيارتهِ نَظراتٍ طغى عليها الحزنُ والخوفُ من الفراق، فلو كان قلبه يَتحدث لصرخ بصوتٍ يملأ به الدنيا طالبًا منها الرجوع عن قرارها.

استدارت سارة لتصعدَ مع إدوارد بالسيارة، شاهدت سامرًا واقفًا بجوارِ الباب يُحادثُ صديقهُ، فتوجهت إليهِ بخطواتها البطيئة المتألمة، ألقت التحية لكنهُ لم يكترث لها ولم يُجبْها، ابتسمت له ابتسامةً خائبةٍ قالت: أنا سأغادرُ لندن..وأنصحكَ بأن تغادرها لأنهم سيقتلوننا جميعًا إن بقينا هُنا.

وضعت يدها على مكانِ الإصابةِ التي كانت تؤلمها في صدرها، اقتربَ سامر منها وأمسكها من ذراعها:

- سارة ما بكِ؟؟

حضنتهُ سارة وقد أجهشت بالبكاء:

– لقد حاولوا قتلي.. وإن لم تعد أنت سيقتلونك.. أرجوك لا تبقى هُنا.

ابتسمت وعيناها تبكيان، أكملت طريقها نحو السيارة، بينما كان سامر مازالَ واقفًا ينظُرُ إليها ولم يبرَح مكانه، وهو قلقٌ مما حدثَ معها وما قالتهُ.

ساعدَ إدوارد سارة على الجلوس في السيارة، جلس بجانبها، أشارتْ لسامر بيدها مودعةً إياه، وانطلقت السيارة حيثُ كانَ نظُرُ سارة لا يفارق النافذة التي كانت تودعُ من خلالها المدينةِ التي اعتقدت بأنها سترسمُ فيها أجملَ الأحلام.

اصطحبها إلى بيته حتى يتمكن من حجز بطاقة سفرها إلى لبنان وهو مكره وليس بيده حيلة، فالذنب الذي اقترفه أكبر من أن تغفره بعد محاولة قتلها من دون رحمة.

في صباح اليوم التالي، خرجت سارة من الغرفة، لتجدَ إدوارد جالسًا ثملًا على الأريكةَ وبيدهِ قارورة النبيذ، أكملَّ شُربهُ وعلامات السهر والوهن باديةً على وجهه، بينما أكملت طريقها نحوَ المغسلة لتغسلَ وجهها فجاءَ إدوارد من خلفها أمسكها من شعرها بقوة وأدخلها إلى غُرفته وهيَّ تصرخُ محاولةً إبعاد يدهِ عن شعرِها، ثُم أدخلها وأقفل عليها من الخارج.

خَرَجَ سيمون من غُرفتهِ، نَظَرَ إلى إدوارد الذي كانَ يقفُ خلف باب الغُرفة:

– ماذا حدث؟ لماذا كانت سارة تصرُخ؟

ردَّ عليهِ إدوارد بصوتهِ الثملِ المتقطع:

– لن أدعها تغادر.

كانت سارة تصرَخُ باكيةً وهيَّ تضربُ البابَ بيديها:

– افتحوا الباب.

غضبَ سيمون من تصرفِ إدوارد، فدفعهُ من خلف الباب طالبًا منهُ أن يغسِلَ وجهه كي يَعود لوعيهِ، فَتَحَ الباب لسارة التي كانت تكادُ تنهارُ من تصرفاتِ إدوارد، فحضنهَا سيمون وهي تبكي وأعصابها ترتجف من الخوف، وهو يمسحُ على شعرها برفق ويقولُ لها:

– اهدئي...لا تخافي فهو ثملٌ لا يعي ما يفعل.

نَظَرَ إدوارد إلى سارة، وضعَ يدهُ على رأسهِ وكأنهُ يعاتبُ نفسهُ على ما فعله نادمًا.

اقترب منها: «أرجوكِ سامحيني أنا آسف...لم أكن بوعيي».

لم تكن سارة تنظُرُ إليهِ أو تبدي اهتمامًا لما يقولهُ وهي تكفكفُ دموعها عن خديها، ثُمَّ أكملَ كلامهُ:

– استعدي ريثما أستحمُ وأشربُ فنجانًا من القهوة كي أستعيدَ وعيي جيدًا، اطمئني ستسافرين كما أمرْتِ.

غيّرت سارة ملابسها، خلعت الثياب التي كانت ترتديها التي سبق واشتراها لها إدوارد، وارتدت معطفًا أسودَ، ثُمّ خرجت وجلست في الصالة حيثُ كان سيمون أعد القهوة، وإدوارد أنهى استحمامهُ وبدّلَ ملابسه وجلسَ بجانبِ سارة.

أمسكَ إدوارد فنجان القهوة من على الطاولة، وأعطاها إياه، لكنها رفضت دون أن تنظُرَ إليه.

أخذ إدوارد يشربُ القهوة ببطء لتبقى بجواره وقتًا أطول ولعله يستطيعُ تأخيرها عن موعدِ الطائرة فتبقى بجواره مزيدًا من الوقت فيستطيع إصلاح القليل ممَّا هدمه ويغير رأيها بالعودة.

نظرت سارة إلى الساعةِ التي على هاتفها النقال وقالت بصوتٍ مبحوحٍ كاد أن يسلبهُ البكاء نضارتهُ:

– إن بقيت تتلكأ هكذا سوف أذهبُ لوحدي كي لا أتأخر.

نظرَ إدوارد إليها والدموع تكاد تستبيحُ عينيهِ وضع فنجان القهوةِ على الطاولةِ قائلًا بصوتٍ مبحوح:

– هيّا لنذهب.

خَرَجَ إدوارد معها، كان يُمسكُ أمتعتها، وضعَ الأمتعة في صندوقِ السيارة، صعدا السيارة التي انطلقت بهما باتجاه المطار.

كانَ صباحًا ممطرًا باردًا، وكأن الرياح الباردة هَبّت لتُطفِئ ما تأجج في القلب من النيران، كان الازدحام وضجيج السيارات في الشوارع يُخفِفُ الضجيج الروحي، وتخاصُمُ الأفكار لكلٍ من إدوارد وسارة.

عندما وصلا جلسا على مقعد الانتظار حيثُ كانت سارة تتلافى النظرَ إلى عيني إدوارد الذي كان يطيلُ النَظَرَ إليها.

عندما حانَ موعدُ الرحلة، وضعَ إدوارد كفَّ يدهِ برفق على خدِ سارة ورفعَ وجهها نحوه وقلبهُ يخفقُ باكيًا:

- انظُري إلى عيني.

نَظرت سارة بعينيها المليئتين بالحزن إلى عينيهَ، فَمَسَحَ بكفيّ يديهِ على خديها:

- أنا أُحِبُكِ وأقسِمُ أن فُراقك سيقتلني... أرجوكِ لا تذهبي....

أبعدت سارة يديهِ عن خديها، تلألأت عيناها بالدموع قائلة وهي تقاطعُ كلماته: يجبُ أن أذهبَ الآن.

صعدت إلى الطائرة منطلقةً نحو مطار رفيق الحريري في بيروت، بينما عادَ إدوارد إلى منزلِه حزينَ القلبِ متألمًا وقلبهُ يرثي فراقهُ لها بعد أن أدمنَ حبها.

هجر الصهيونية

عندما وصل فَتَحَ باب المنزل وَدخلَ ليجدَ والدهُ جالسًا في الصالةَ ينتظرَهُ، لقد كانَ والدهُ طويلًا عريضَ المنكبين، شريرَ الهيئة كان ينظرُ بغضبٍ إليهِ.

إدوارد «أهلًا أبي».

اقتَرَبَ منهُ ليعانقهُ، رفعَ الوالدُ يدهُ ليصفعَ إدوارد، أمسكها إدوارد غاضبًا:

- أرجو ألَّا تعيدَ هذا الأمر كي لا أفعلَ فعلًا شنيعًا.

نَظَرَ الوالدُ والشرُ يشعُ من عينيه:

- أين خبأتها؟

- لقد عادت إلى ديارها.

- لقد خذلتني.

ثُمَّ اقتربَ منهُ وتكلمَّ بصوتٍ منخفض:

- إن علمَ القادة بهذا سوف أصبحُ أضحوكة.

ضحكَ إدوارد بسخرية: «لم يعُد يُهمني القادة ولا يُهمني أحد».

صَرَخَ الوالدُ وملأَ صراخُهُ المنزل: «أنت لست ابني وإياك أن تقترب من المنزل أو تحاول رؤيةَ والدتك».

ثُم مشى نحو الباب غاضبًا، وقبلَ خروجهِ استدارَ نحو إدوارد

وأشارَ بسبابتهِ نحوهُ:

- إن تجرأت على الوقوف في وجهِ أوامر القادة مرةً أُخرى سأقتُلُكَ بيدي.

وخرجَ مغلقًا الباب خلفهُ بقوة.

استلقى إدوارد على الأريكة تعيسًا بائسًا، وأخرجَ الهاتفَ النقالَ من جيبهِ وأخذَ يتأملُ صور سارة قائلًا: «ليتكِ لم تتركيني».

في حين َفتَحَ سيمون باب المنزل ودخلَ وبيدهِ أكياسٌ مليئةٌ بالخضار، جلسَ على الكرسي، نَظَرَ إلى إدوارد:

- لقد كانَ والدكَ هُنا مُنذُ خمس دقائق أين ذهب؟

التفت إدوارد إليه ورد متنهدًا:

- أعلم لقد رأيتُه وعاد إلى المنزل.

- لماذا عادَ بهذه السرعة؟

- لا أُريدُ التحدثَ عن شيء الآن سأُخبركَ لاحقًا.

- حسنًا، ألن تذهب للجامعة، لقد تغيبتَ كثيرًا، سيطردونكَ إن بقيتَ هكذا.

- سأذهبُ غدًا وأوقفَ إجراءات دوامي، فأنا لستُ مستعدًا هذا العام.

ثُمَّ دَخَلَ غُرفته، ونَظَرَ إليها كأنها أصبحت غريبةً عنهُ بعد رحيلِ سارة، واستلقى على سريرهِ مُمسكًا الثيابَ التي كانت ترتديها وهوَ يتذكرُ كيفَ كانت تبدو عليها، ثُمَّ حضن ثيابها وأغمضَ عينيهِ لينام لعلهُ يستطيعُ بالنومِ الهروبَ من ألمِ قلبه.

في بيروت

وصلت سارة إلى المطار وهي حزينةٌ لبعدها عن إدوارد الذي خابت توقعاتها به والذي أصبحت بينها وبينهُ مسافاتٌ شاسعة والدموع تنهمر من عينيها كلما تتذكر أنه قد أصبح ماضيًا وأنها لن تتمكن من رؤيتهِ بعد الآن، استقلت سيارةَ أجرة وهي تُشيرُ للسائق كي يوصلها إلى منزِلِ عمّها.

توقفت السيارة أمام أحد الأبنية في أحد شوارع بيروت، دفعت النقود إلى السائق ثُمَّ صعدت بالمصعد الكهربائي إلى الطابق الثاني من البناء وقرعت أحد الأبواب.

فتحت الباب سيدة في الثلاثينيات من العمر، متوسطة الطول، شعرُها قصيرٌ بنيُّ اللون، وعيناها توحي للناظرِ بقوةِ شخصيتها، نَظَرت السيدة لسارة بدهشة قائلة: سارة!!!!!.

ابتسمت سارة، اقتربت منها وعانقتها:

- أجل سارة.. كيفَ حالُكِ؟

- تفضلي بالدخول.

دخلت سارة وساعدتها السيدة في إدخالِ أمتعتها، طلبت منها أن تبدل ملابسها ريثما تكمل تحضير وجبةِ الغذاءِ التي كانت قد أوقدت تحتها موقد الغازِ في المطبخ والتي كانت رائحتها تفوحُ في المنزلِ وهي شرائح الدجاج المقلية.

في المساء عندَ قدوم عمَّها عانقتهُ عناقًا حميميًا وتطبعُ القبل على خديهِ، فهو من رائحةِ والدها وأخذت تحدثهُ وتحدث زوجتهُ عمَّا حدث، كانت زوجتهُ شيرين تنظُرُ إلى سارة وهي لا ترغبُ بوجودها فسألتها:

- هل ستعودين إلى سورية؟

- لا أدري فأنا لم أقرر بعد.

طأطأت رأسها حزنًا:

- لكني لا أريدُ أن أعودَ إلى ظُلمِ غسان زوج والدتي.

العم: أهل وسهلًا بكِ يا حبيبتي يا ابنةَ أخي الغالي.

ثُمَّ أشارَ إلى إحدى الغرف: إن تلكَ الغرفة فارغة، أدخلي أمتعتكِ إليها، وابقي فيها إلى متى شئتِ.

غضبت شيرين مما قاله زوجها، لكنها حاولت أن تبدو طبيعية بينما فرحت سارة بأنها ستبقى بالقربِ من عمها الذي كان يعاملها كابنةٍ لهُ.

أدخلت سارة أمتعتها إلى الغُرفة، وبدأت بإخراج ثيابها من إحدى الحقائب، فوجدت مبلغًا وفيرًا من المال موضوعًا بينَ الثياب إضافةً إلى العلبة الصغيرة الحمراء ورسالةٍ كان مكتوبٌ فيها:

«أعلمُ أنهُ لا يوجدُ شيء يُمكنهُ أن يغفرَ لي قُبحَ ذنبي، لكنني أُقسمُ لكِ إني أُحبُكِ جدًا، لقد ارتجفَ قلبي منذُ أن رأيتُكِ للمرة الأولى، حاولتُ أن أُسكتَ صوتَه الذي كان يندهُ باسمكِ وفشلت كلُ محاولاتي، لأن

حُبكِ في قلبي انتصرَ على ديني ومعتقداتي وتربيتي، أرجوكِ سامحيني، سأبقى في انتظاركِ دائمًا، لا أعلم كيف سأعيش بعد ذهابكِ، فكل شيء لا نكهةَ له إن لم تكوني فيه، حتى حياتي تصبح بالبعدِ عنك خاوية، أرجوكِ لا تطيلي الغياب».

أربكت كلماتُ إدوارد قلبها، فجلبت حاسوبها المحمول من الحقيبة الأخرى، قامت بتشغيلهِ ثُم فتحت حسابها على الفيس بوك فوجدت عدة رسائل وصلت من إدوارد وجوانا

إدوارد: كيفَ حالُكِ هل أنتِ بخير؟ هل وصلتِ؟

- أين أنتِ الآن؟

ارتجفت يدا سارة، قربت أصابعها من لوحة المفاتيح لتجيبهُ، ثُمَّ تذكرت كيفَ حاولَ قتلها وتركها مرميةً بالغابة بلا رحمة، فتراجعت عن الكتابة وبدأت تقرأُ رسائل جوانا

جوانا: عزيزتي سارة هل أنتِ حقًا في لبنان، أخبرني إدوارد بذلك وقد كانَ قلقًا عليكِ.

أجابت سارة جوانا: أجل أنا في بيروت، سأراكِ قريبًا، لا تجيبي على رسائل إدوارد وسوفَ أخبرُكِ لاحقًا بكلِ شيء.

ثُمَّ أغلقت حاسوبها المحمول دونَ أن تجيبَ على رسائلِ إدوارد، أكملت ترتيبَ ملابسها وأشيائها.

مضى أسبوعٌ رقدت فيه سارة في منزلِ عمها الذي كان يعطف

عليها، بينما كانَ وجودها يُزعجُ زوجتهُ التي كانت تتوقُ إلى رحيلها، وفي أحد الأيام بينما كانت تمسحُ أواني الزينة الفخارية الموجودة في الصالة سقطت منها إحداهن أرضًا وتحطمت، التفتت شيرين إليها ونظرت إلى الإناء المتحطم بينما كانت سارة تسارعُ بانتشال قطع الإناء من الأرض وهي مُرتبكة لما فعلته.

غضبت شيرين وصاحت بها غاضبة:

- ماذا فعلتِ؟.. إنهُ من تراثِ عائلتنا.

ارتبكت سارة: لم أكن أقصدُ أنا آسفة.

كانت شيرين تنظُرُ إلى سارة وهيَ تكادُ تقتلها بنظراتها، بينما كانت سارة تقومُ بانتشالِ كسراتِ الفخار المتناثرة وهي تتجنبُ النظَرَ إليها شاعرةً بالذنب.

نقرت شيرين على كتفِ سارة بقوة: انظري يا فتاة إن عودتكِ إلى منزلِ والدتكِ سيكونُ أفضلَ لكِ من بقائكِ هنا.

أنهت سارة تنظيفَ الأرضَ من بقايا الإناء، دخلت غرفتها استلقت على السرير حزينةً مكسورةَ الخاطر.

في المساء جاءَ العمُ ودخلَ للاستحمام بينما كانت زوجتهُ تحضّرُ العشاء، وبعد انتهائهِ نظرَ إلى طاولة الطعام في الصالة، التفت حولهُ ثُمَ نظرَ لزوجتهِ التي كانت جالسةً أمامهُ

- أين سارة لم أرها منذُ الصباح.

- لم يعد يحلو لكَ تناولُ الطعام بدونها.... اسمع زياد أنا لم يعد بوسعي أن أتحملَ وجودها أكثر.

أخفضَ العمُ صوتهُ ونظرَ لزوجتهِ بغضب:

- اخفضي صوتكِ ستسمعُكِ.

ردت الزوجة بصوتٍ مرتفع أرادت بهِ أن تسمعَ سارة:

- لقد أخذت ورثةَ أبيها وأضاعتها كالأطفال وجاءت إلى هنا لتخّربَ حياتي، إنَ والدتها لم تستحملها، فكيفَ تطلبُ مني ذلك.

ثُمَّ وقفت وغادرت طاولةَ الطعام وهيَ تقول:

- لم أعد أريدُ الأكل فلتأكل معها.

احتارَ العمُ ماذا يفعل، فقد كانت سارة وصيةَ أخيهِ لهُ، ثُمَّ اتجهَ نحو الغرفة التي كانت فيها، تظاهرت بالنوم كي لا تُسبب له أي إحراج، قامَ بإيقاظها بلطف كي تتناولَ الطعام لكنها ابتسمت لهُ متظاهرةً بأنها لم تسمع حديثهُ مع زوجته، أخبرتهُ بأنها غير جائعة وبعد خروج عمها أخرجت صورة والدها من تحت الوسادة وأخذت تتأمل فيها وتحدثُه باكية ودموعها كالأمطار، تكفكفها بيديها، وتعودُ لتهطُلَ من جديد:

- لقد خذلوني يا أبي، لقد خذلوني جميعهم لماذا تركتني وحيدة؟... خذني إليك أرجوك، فقلبي لم يعد يحتمل، أنت الوحيد الذي أحببتني حتى والدتي لم أشعُر بأنها تُحبني يومًا.

لقد أحست سارة بالوحدة والغربةِ حتى عن نفسها وأمضت ليلةً ظلماء تارةً تتذكرُ والدُها وهو يُداعبُها وكيفَ كان يروي لها القصص قبل النوم وهي مُستلقيةٌ بين يديه، وتارةً تتذكرُ والدتها وزوجها وهما يضربانها بلا رحمة لأبسطِ الأخطاءِ التي ترتكبها.

عند حلول الصباح نهض زياد عمُّ سارة وقامَ بتحضيرِ الفطور، ثُمَ أيقظَ زوجتهُ بلطف وهو يداعب شعرها بيده، فنهضتَ مبتسمةً وعانقتهُ ثُمَّ خرجت من الغرفة وغسلت وجهها جلست حول طاولة الطعام.

أمسكت شيرين رغيف خبزٍ صغيرٍ لتناول الطعام، وعندما اتجهَ العمُ نحوُ غُرفة سارة لإيقاظها نظرت إليهِ شيرين باستياء ووضعت الرغيف من يدها على الطاولةِ بقوة قائلة:

- إذا جلبتها لن أتناول الطعام... عندما تستيقظ ستحضّرُ هيَ الطعام بنفسها.

عادَ العمُ وجلسَ مع زوجتهِ يتناولُ الإفطار، ثُمَّ ارتدى معطفهُ، وخرَجَ نحو المطعمِ الذي كانَ يعملُ فيه.

كانت سارة تضعُ ملابسها وأشياءها في الحقائب لتغادرَ المنزل، وبعد انتهائها أمسكت حقائبها وخرجت من الغُرفة نحو الباب الخارجي، كانت زوجةُ عمها تنظُرُ إليها بتكبر وهيَ جالسةٌ في الصالة، تشربُ فنجانًا من القهوة دون أن تحدثها أو تقول لها حتى «ابقي في منزلنا مزيدًا من الوقت» حتى لو كانت مجاملةً.

توجهت سارة نحو أحدِ الحدائق، جلست على أحدِ المقاعد وهي لا تعلمُ أين تذهب وماذا تفعل، تنظُرُ للأطفالِ الصغارِ الذين كانوا يلهونَ مع بعضهم وتتذكر والدها الذي كان دائمًا يلهو معها كأنهُ صديقُها تراقبُ الناس من حولها لتجد نفسها غريبةً عن كل شيء، فقد كانت تشعرُ بالغربةِ حتى عندما كانت تعيشُ مع والدتها فكيف لا تحسها مع الأشخاص العاديين.

عند اقترابِ حلول المساء عادَ العمُ إلى منزلِه، ولم يجد أحدًا في المنزل، فظنَّ أنَ سارة وزوجته خرجتا لشراء بعض الحاجات، استلقى على الأريكة في الصالة وعند قدومِ زوجتهِ لوحدها نظر خلفها ظنًا منهُ أن سارة تتبعها، ابتسمت الزوجةَ «عن ماذا تبحث؟ لقد عادت سارة إلى والدتها، فهذا أفضلٌ لها، لقد استيقظت صباحًا وغادرت».

لم يكن العمُ مسرورًا من كلامِ زوجتهِ، كانت علامات الانزعاجِ واضحةً قال غاضبًا:

- كيفَ سأتحدثُ معها لأطمئن عليها، أظنُ أنها قد سمعتكِ البارحة، وربما لم تغادر لبنان بعد... أعطني رقم الشريحة اللبنانية الخاصة بها لأحدثها.

دخلت الزوجة غرفتها، ركلت الباب خلفها قائلة بسخرية: ليس معي أيُ رقمٍ لها.

بينما كانتَ سارة لاتزالُ جالسةً في الحديقة تتأملُ الأطفالَ وأهاليهم وكأنها تتوق لأن تعودَ طفلةً صغيرة لا هم يستوطنُ قلبها ولا جراحٌ

تؤلمها، في حين جلست امرأةٌ عجوزٌ بجانبِها، أخذت تنظُرُ إلى عينيها الحزينتين الشاردتين وإلى أمتعتها الموضوعة بجانبها وابتسمت لها قائلة: ما خطبُكِ يا ابنتي؟ هل أستطيعُ مساعدتكِ؟.

نظرت سارة إلى العجوز وابتسمت ابتسامةً خائبة، ردت عليها بصوتٍ أنهكهُ السهرُ والتعب: أنا بخير.

ثُمَّ أمسكت هاتفها ويدها ترتجفُ من الوهن والحزن واتصلت بجوانا وأخبرتها بأنها ستقضي الليلة عندها لتودعها لأنها ستعودُ في الصباحِ إلى سورية، فقامت جوانا بإخبارها عنوان منزلها.

لقاء جديد

خرجت سارة من الحديقةِ وهيَ تجرُ حقائبَ الأمتعةِ خلفها، استقلت سيارةَ أجرة متوجهةً نحوَ المنزل في حين كانت جوانا تنتظرها أمامهُ لكي لا تضيع.

توقفت السيارة أمام المنزل الذي كان يبدو منزلًا فاخرًا، نزلت سارة مُسرعةً نحوَ جوانا، عانقتها بقوة حيثُ كانت ملامحُ الفرحِ بهذا اللقاء تبدو على كلٍ منهما، نظرت جوانا إلى وجهِ سارة مستغربةً:

– ما هذا الشحوب الذي يبدو على وجهكِ، ماذا حلَّ بكِ.

ردت سارة بحزن:

– سأخبرُكِ بكل شيء لكن دعينا ندخلُ أولًا فأنا متعبة.

دخلت سارة وجوانا المنزل، قامت جوانا بتعريفها على إخوتها الصغار التوأم، كانا فتاةً وصبيًّا في العاشرة من عمرهما، الفتاة اسمها سيرين والصبي اسمهُ جوزيف.

قامت الخادمة بإدخالِ أمتعةِ سارة إلى إحدى الغرف، أخبرتها بأنها تريدُها أن تقيمَ معها في المنزل الذي لم يكن فيهِ سوى هي وإخوتها الصغاربعد وفاةِ والديها.

سُرت سارة بطلبِ جوانا ووافقت عليه شاكرةً لها، فقد أزيح هم العودةِ إلى العيش معَ والدتها وزوجها عن قلبها، فكانت العودةُ إلى هناك كصخرة تثقلُ فؤادها.

أخذ الجميعُ يتناولون العشاء الذي كان فاخرًا ومتنوعًا، أحست سارة بالدفء الأسري الذي افتقدته منذ زمن، فقد كانت تراقب الصغيرين بعينيها الذابلتين، وبعد انتهائهم قامت الخادمة بأخذِ الصغيرينِ إلى غُرفةِ نومهما، بدأت تروي لهما القصص والحكايات حتى ناما، ثُمَّ خرجت ونظفت الأطباقَ والصحون.

بينما كانت سارة وجوانا تجلسانِ في الصالة تشربان العصير وتتحدثان، فأخذت سارة تتحدثُ لجوانا بما حل بها بعد رحيلها والمعاناة التي عانتها وبدت جوانا متأسفةً لما حدث معها حزينةً على حالها.

أنهت الخادمة عملها، استأذنت من جوانا لتغادر إلى منزلها، ثُمَّ خلدت كلٌّ من سارة وجوانا إلى النوم كلٌ منهما في غرفتها.

في الوقت الذي كانَ فيهِ إدوارد مُستلقيًا على سريرهِ يتأملُ صورَ سارة بائسًا يفكرُ كيفَ سيجتمعُ بها من جديد ويتذكر لحظاتِ الفرحِ التي لم يشعر بها منذُ غيابها، دخلَ إليهِ سيمون وحدثهُ وهو قلقٌ منَ حالهِ:

- إلى متى ستبقى هكذا، هل ستُضيِّعُ عُمركَ وأنت تعيشُ على الذكرى؟
- لا تقلق، سيأتي يومٌ أجعلُ فيهِ هذه الذكرى واقعًا من جديد.
- هل أجابت على رسائلكِ؟

- بضحكة بائسة: لا، وطلبت مني صديقتها ألَّا أُرسل لها شيئًا لأني إن أرسلتُ لها ستلغي حسابها على الفيس بوك، لكني سأصل إليها مهما كانَ الثمن.

نهوض ما بعد السقوط

كانت الأيامُ تمضي وسارة وجوانا تعيشان معًا، جوانا تذهبُ صباحًا إلى جامعتها، وسارة إلى عملها حيثُ تدبرت لها جوانا عملًا في الشركة التي ورثتها عن والديها، وكانت الخادمة تُعد الطفلين الصغيرين وترسلهما إلى المدرسة، وفي المساء تخرُجُ سارة وجوانا وتذهبان للتجول، لقد كانوا كعائلةٍ واحدة كما اعتادوا الذهابَ في كل نهايةِ أسبوع لتناولِ العشاءِ في إحدى المطاعم.

كانت أيامًا يملؤها الاستقرار، استطاعت فيها سارة أن تُجبر حُطامَ قلبها بعد الظُروف القاسية التي مرت بها، لكنها لم تتمكن من أن تنسى إدوارد، وكانت كلَّ ليلةٍ قبلَ نومها تتذكرُ الأيام التي أمضياها سويًا محاولةً إسكاتَ صوتَ قلبها المتألمِ الذي كان يلهث باسمهِ رغمَ كلِ ما فعلهُ بها.

في المسجد

توقفت سيارة إدوارد أمام أحد المساجد في لندن، فنزل منها، ودخلَ من بابه الخارجي مُتَّجهًا إلى حيثُ يرى الداخلين يذهبون، دقات قلبهِ متسارعةٌ وهو خائفٌ يلتفتُ حولهُ شاعرًا بغربتهِ، فهي المرة الأولى التي يدخلُ فيها مكانًا كهذا، كان يرتجفُ من الداخل، لم يكن يعلم أن الحب سيجبرهُ يومًا على الذهاب إلى مكان كهذا، وصل إلى عتبةِ باب الساحةِ الداخليةِ للمسجد المفروشةِ بالسجادِ الخمري اللون، نظرَ حولهُ، قام بخلعِ حذائهِ مقلدًا الرجال الذين حولهُ، كان خائفًا ظنًا منهُ أنهم سيقتلونهُ لو علموا بيهوديتهِ، فكان يخفي بجعبتهِ الداخلية مسدسهُ حرصًا على نفسهِ، دخل الساحة الداخلية أخذَ يراقبُ الرجال المصلين والشيوخ بلسانهم الأبيض الذي يوحي بالسلام، كانت خطاهُ مترددة، يمشي خطوتين إلى الأمام وخطوةً للخلف كانت هذه المرة الأولى التي ينظرُ بها إدوارد للمسلمين بحذر فقط، ودون تلك الكراهيةِ التي كانت تعمي عينيهِ دائمًا.

كان أحدُ الشيوخ يراقب إدوارد، كان شيخًا لطيف الهيئة، يشعُ النور من عينه، مشى الشيخ باتجاه إدوارد فقد لاحظ غرابةً في تصرفاته، وعندما وصلَ إلى جوار إدوارد الذي نظر إليهِ وهرعَ خطوةً للخلفِ خائفًا فقال لهُ الشيخ بصوتهِ الودود واضعًا يدهُ على كتفِه:

- ما بكَ يا بني ممَّ أنت خائف؟

رد إدوارد مرتبكًا: لا شيء يا سيدي الحاخام.

ضحك الشيخ قائلًا: أنت يهودي؟

نظرَ إدوارد حولهُ خائفًا ليرى ردةَ فعل من حوله، لكنهُ وجد كل شيء طبيعيًّا رد بصوتٍ خافت:

- نعم.. كيف علمت؟

- الحاخام يطلق على رجل الدين اليهودي، أما رجل الدين المسلم فهو الشيخ.... لماذا أنت خائف ومرتبك، اجلس لنتحدث قليلًا.

استغرب إدوارد كل هذا اللطف وعدم غضب الشيخ أو محاولةِ إيذائهِ بعد أن علم بيهوديته، جلس وجلس بجواره الشيخ قائلًا:

- ما الذي أتى بك إلى هنا يا بني؟

- لا أعلم.

- إذا كنت غريبًا عن هنا وليس لديك مكانٌ للإقامةَ فيهِ فإن هذا المسجد دارك حتى تتدبر أمورك.

لم يكن إدوارد يعلم أن الشيخ لطيفٌ هكذا فقال له:

- إن كنتُ حقًّا لا أملك مكانًا للإقامة وقررت البقاء هنا لن تؤذوني؟

ضحك الشيخ ورد معاتبًا:

- لا يا بني ما هذا التفكير؟ إن دين الإسلام يكمن معناه في اسمه فهو يعني السلام والمحبة والألفة والاعتدال فكيف أقوم بإيذائك وأنا مسلم أي مسالم.

- لكن المسلمين يقتلون دومًا فإذا كان دينهم مسالم لمَ يفعلون هذا؟

- إن من يقتلون يقتلون باسم دين الإسلام، لكنهم ليسوا مسلمين، لقد تغذوا على أفكار متطرفة لا تمت للإسلام بصلة، يقول الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي أن ديننا أساسه الرحمة، فكما أنتم اليهود لديكم منظمة تقوم بالقتل والذبح وهي الصهيونية وهي سياسة وحشية ليس لها أساس في الدين اليهودي ونحن المسلمون هناك فئات تستخدم اسمنا في أعمالها الوحشية لتشويه ديننا.

انقبض قلبُ إدوارد عندما تحدث الشيخ عن الصهيونية، لكنهُ في نفس الوقت كان يشعرُ بالطمأنينة، فرد عليه قائلًا:

- وما أدراك أني لست صهيونيًّا؟؟؟

الشيخ: لأنني أشعر بأنك نظيفٌ من الداخل.

ابتسم إدوارد فقد كان يشعر بالراحة لحديثِ الشيخ:

- هلّا تحدثت لي عن الإسلام قليلًا؟

الشيخ: بالطبع يا بني... إن دين الإسلام هو آخر الأديان السماوية، جاء مصدقًا لما سبقهُ من الأنبياء فنحن نؤمن بكل الأنبياء والمرسلين وآخر الأنبياء هو نبينا محمد ﷺ إن الأركان الأساسية للإسلام هي الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج، فعلى كل من أراد الدخول في الإسلام النطق بالشهادتين فهي مفتاح اعتناق الدين

الإسلامي وذلك بأن يقول «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله».

- إذا نطقت بهذه الكلمات أتحول من يهودي إلى مسلم؟

ضحك الشيخ: نعم لكن هذا لا يكفي لتكون مسلمًا بحق...هل ترغب في اعتناق الإسلام؟

ارتبك إدوارد فالسؤال صعب وهو حقًا لا يعلم ما يريد أن يفعل:

- لا أدري.... لكن أرغب في معرفة أساسيات هذا الدين وبعض الأمور عنه.

- حسنًا بني سأتحدثُ لك عن كل شيء حتى الصباح إن أردت ويمكنك السؤال عن كل ما تريد.

- حسنًا سيدي هذا لطفك منك.

أخذ الشيخ يشرح لإدوارد أساسيات الدين دون أن يمل أو يكل، موضحًا له إيجابيةَ الإسلام محاولًا مسح تلك الصورة المشوهة التي يحملها إدوارد في ذاكرته.

بدأ يحلُّ الإسلام في قلبه، فثمة بصيص من نور يغمر ذاته، يمسح في جدرانها ما علق بها من حقدٍ وضغينة للعرب والمسلمين الموحدين والوسطيين الذين لا علاقة لهم بالإرهاب.

خرج من المسجد ولأول مرة يغمره إحساس بالطمأنينة والراحة مع شعور بالسمو يحلق به بعيدًا في فضاء الحب الإنساني النبيل.

ياسر

كانَ «ياسر» زميل سارة في العمل، كان مكتبه بجوار مكتبها في نفس الغرفة شابًا جذابًا من عائلة ميسورةِ الحال، يحاولُ التقربَ منها مرارًا، فقد كان دومًا يدعوها للخروجِ معهُ بعد انتهاء وقت العملِ لتناولِ وجبةِ الغذاء، ويحادثها في الهاتفَ بعد عودتها للمنزلِ للتقربِ منها دون أن تترُك لهُ فرصةٌ ما، لهذا كانت ترتدي ثوب الجدية والحزم على الرغم من أنهُ ليس ثوبها، لكنَّ قلبها أجبرها على ارتدائهِ كي لا تؤذي حاكمه وتخل بقوانين مملكته، فلقد كانت تشعرُ أن حبَ إدوارد يستوطنها إلى الأبد، وأن قلبها غير قادر على تقبلِ أحدٍ غيرهُ رغم كل الأذى الذي سببه لها، إلا أنهُ لا يزالُ جالسًا متربِّعًا في جوف قلبها لم تنقص محاولةُ قتله لها من حبها له شيئًا.

ضياع

كان إدوارد جالسًا في غرفته وحيدًا ينظرُ إلى الساعةِ التي قد أتمت الثانية عشر بعد منتصف الليل، فأمسك هاتفهُ النقال واتصل بجوانا التي لم تجب، لأن سارة كانت بجوارها، ثم استلقى على سريره وأخرج صورة سارة من تحت وسادتهِ وأخذ يتأملها والدموع تترقرق في عينيهِ قائلًا في نفسه «لماذا حدث معي هذا...آه كم أنا متعب يا حبيبتي أنا تائهٌ من دونك وتائهٌ بين ديني ودينك إنهُ ليصعب علي أن أهجر ديني ومعتقداتي لماذا وضعتِ بيننا هذه العوائق.... لقد مضى أسبوع وأنا أتردد إلى المسجد أحادثُ الشيخ لكنني لا زلت مترددًا إنني أشعر بأنني أفقد نفسي وأخاف بعد فقدها أن تكوني حقًا قد أقلعتِ عن حبي فأفقدُ نفسي وأفقدُكِ».

مسح دموعًا هطلت من عينيه، أكمل قائلًا وهو يضحكُ ويبكي معًا «اليوم علمت لماذا كنتِ ترفضين شرب النبيذ..... آه كم أنتِ كاذبة يا جميلتي».

آه يعذبني ذلك الضياع الذي وضعني أمام طريقين:

طريق حبك الذي يستعمرني من الداخل ويدفعني إلى الطريق الآخر الذي بدأ يمتد إشراقة نور في وجداني.. إنه فعلًا أتون الضياع والتشرذم... ماذا يعني أن أكون حيوانًا قاتلًا مجرمًا؟ وماذا يعني عقيدة تدفع إلى قتل الأبرياء؟

أنقذيني يا سارة، دليني إلى الطريق .. الصواب.

ثمة صراع محتدم في داخلي بين ظلام ونور، ظلام يدفعني إلى الإجرام وآخر بدأ يطهر نفسي من أوزارها ويفتح لي دربًا جديدًا لم آلفه من قبل.. أيمكن أن يفعل حبك في نفسي كل ذلك...؟

داعب الوسن عينيه، أطبق جفنيه وراح في ثبات لم يخل من بعض طمأنينة.

تفريق

كانت جوانا تعملُ جاهدة لإقناع سارة بأن تُحبَ ياسر وتسمحُ لهُ بفرصةٍ كي يتقربَ منها، وتحرضهَا على أن تكرهَ إدوارد بعدَ أن قامت بتعطيل حسابها على الفيس بوك دونَ أن تعلم حتى لا يستطيع التواصل معها لتبين لها بأنه قد نسيها وأنها أصبحت ماضٍ.

بينما كانت تحدثُهُ كُلَ يوم دونَ أن تُخبرَ سارة، محاولةً أن تجعلهُ ينسى حبهُ لصديقتها، ساعيةً للتقرُبِ منهُ وكسب قلبه، فكانَ حينَ يُراسلها على الفيس بوك ويسألُها عن سَارة تطلبُ منهُ أن ينساها وهي تكذبُ مُدعيةً أن سارة قد أحبت زميلها بالعمل، كما كانَ إدوارد يتصلُ بها مرارًا وتكرارًا ويطلبَ منها أن تجعلهُ يتكلم معها لكنها كانت ترفضُ مُدعيةً بأن سارة لا تريد.

لاحظت سارة أكثرَ من مرة أن هناكَ رقمًا يمتلكُ رمزَ دولةِ بريطانيا يتصلُ بجوانا، وكانت جوانا تقولُ بأنها صديقتها من لندن، كما لاحظت بأن جوانا كانت تغلقُ حاسبها المحمول عندما تجلسُ معها، لكن لم يكن يخطرُ ببالها ما الّذي تسعى جوانا لفعلهِ فقد كانت تعتبرها كأختٍ لها قبل أن تكونَ صديقتها.

أمل

نهضَ إدوارد من سريرهِ في ذلك اليوم نشيطًا وعلامات السرور تبدو على وجههِ، وكانَ يغني أغاني الحب والغرام، توجهَ إلى المطبخ ليُعدَّ القهوة، نظرَ سيمون إلى حالهِ مسرورًا بتحسنِ مزاجهِ ثُمَّ قالَ لهُ:

- هل تحدثتَ معها؟

- لا لكنني استطعتُ معرفةَ مكانِ عملها وأوقاتهُ من جوانا، فأنا أُكلمها منذُ شهرين لأستطيعَ الوصولَ إلى حبيبةِ قلبي الفاتنة، لكن دونَ أن أجعلها تشعُرُ بذلك».

ضحكَ سيمون قائلًا:

- ماذا ستفعلُ الآن؟

- عليَّ أن أُتمَ بعضَ الأمورِ، ثُمَّ سأذهبُ إليها وأُحضرها معي إلى هنا.

- وإن رفضّت المجيء؟

ردّ إدوارد بثقةَ وهو يُشيرُ بالملعقة التي كانَ يُحركُ بها ركوةَ القهوة نحو سيمون:

- ستأتي لأنني أُحبها ولأني أعلمُ بأنها تُحبني أيضًا.

أنهى إدوارد شُربَ القهوة وتوجهَ نحوَ المصرف حيثُ قامَ بسحبِ

جميعِ الأموالِ المُخزنة باسمهِ، ثُمَّ قامَ ببيعِ سيارتهِ لأحد مراكز بيع وشراء السيارات.

وبعد ذلكَ توجهَ إلى رابطةِ العالم الإسلامي في لندن بعد أن حزم قرارهُ لا بد من اعتناقِ الإسلام، نطقَ الشهادتين ووقع على بعض الأوراق التي تثبتُ ديانتهُ الجديدة، ومن ثُمَّ استقلَ سيارةَ أجرة متوجهًا إلى محطة القطار حيثُ قطعَ تذكرةً وصعد القطار متوجهًا نحوَ مدينة بريستول الواقعة غرب مدينةِ لندن والتي يستغرق القطار ساعة ونصف تقريبًا للوصولِ إليها.

وصلَ إدوارد إلى المدينة، توجهَ إلى أحدِ مكاتب بيع العقارات، اشترى منزلًا صغيرًا، ثُمَّ ذهبَ إلى أحدِ محلاتِ تجهيزات المنازل الذي يحوي قسمين قسمًا يعرضُ الأثاث، وآخر للأدوات الكهربائية، وقامَ بشراءِ أثاث أنيق للمنزل، بالإضافة إلى بعض الأجهزة الكهربائية كالبرّاد والفُرن الكهربائي والغسالة وبعض الأجهزة الأُخرى.

أوصلت سيارتان كبيرتان الأثاث والأجهزة الكهربائية إلى المنزل، قامَ بعضَ الرجالِ التابعين لمحلِ التجهيزات بنقلِ الأثاث والأجهزة الكهربائية إلى المنزل وترتيبها بمساعدةِ إدوارد.

وبعد أن انتهوا من نقلِ كُلِ شيءٍ وترتيبهُ، غادرَ الرجال، تجولَ إدوارد في المنزل مُلقيًا عليهِ نظرةَ بعدَ أن أصبح شبه جاهز للعيشِ فيه، حيثُ كانَ ينقصهُ بعض الأشياء كأدوات المطبخ وغيرها، ثُمَّ جلسَ منهكًا في الصالة وهو يقول: أظنُ بأنهُ سيعجبها.

ثُمَّ عادَ إلى منزلهِ في لندن حيثُ وصلَ مع حلولِ المساء، وأخذَ يحزمُ أمتعتهُ ليسافرَ في اليوم التالي.

كانت جوانا جالسةً في غُرفتها على سريرها تنتظرُ إدوارد حتى يتصلَ بها بعد أن حاولت الاتصال بهِ دونَ إجابة، فتارةً تفتحُ حاسبها المحمول لترى لعلهُ أرسلَ إليها رسائلًا، وتارةً تنظرُ إلى هاتفها النقال، لقد كانت ساذجةً تظنُ أنها ربما تعني له شيئًا فقد كان يحدثها كثيرًا سابقًا فباتت تعتقدُ بأنها شيءٌ يهمه لكن كل محادثاتهِ واهتمامهِ ليستدرجها بالكلمات حتى يطمئن على صديقتها ويعرف معلوماتٍ عنها تفيدهُ بلقائها، لم تكن تأبه لحب صديقتها الكبير له فقد كانت أنانيةً في تفكيرها فهو شاب وسيم ومتألق يستطيع أسر أيّة فتاةٍ في سجون حبه.

كانت سارة مستلقيةً في الغُرفةِ الأُخرى تنظُرُ إلى صورةِ إدوارد حزينةً تظنُ بأنهُ قد نسيّها بعد أن أخبرتها جوانا أنهُ لم يعد يسأل عنها منذُ زمنٍ بعيد، كانت تحس بالاختناق كلما فكرت أنها ربما لن تلتقيه ثانيةً، أوَ أنهُ من المحتمل أن يكون مع فتاةٍ أخرى الآن، فأين العدلُ في أن تعيشُ أسيرةَ قضبانِ ذكرياتهِ غارقةً في بحار الشوق إليه وهو يكملُ حياتهُ كأنها نسمةٌ منسيةٌ أنعشتهُ في صباحٍ ما، كانت تشعر بالندم لأنها عادت، حكمت على نفسها بالموت حين اتّخذت هذا القرار، وهي تنبضُ بهِ حبًا، تمنت لو أنها تركت نفسها لهُ ليقتلها مجددًا ولم تقتل نفسها هي لتموت موتًا بطيئًا بسبب بعدها عنه.

إلى الحبيبة

قبلَ بزوغ صباح اليوم التالي، استيقظَ إدوارد، واستقلَ سيارةَ أُجرة مُتجهًا نحو المطار، كان موعدُ رحلتهِ في الساعة الثالثة صباحًا، صعد الطائرة منشرح الصدر لذهابه إليها وفي الوقت ذاته كان خائفًا من أن تكون حقًا قد هجرت حبه، لكنه كان مصمِّمًا على ألَّا يأتي من دونها، وأن يراهن على قلبها من جديد حتى لو كانت قد أحبت غيره، فقد كان يشعرُ بثقل الألم الذي ألحقه بها، وبالجرح العميق الذي زرعهُ في قلبها، فكيف لفتاة وثقت به ومنحته قلبها أن تشعر بعد أن علمت أن من تحبه أراد إنهاء حياتها وما حجم الخيبة التي تستوطن قلبها.

هبطت الطائرة في مطار رفيق الحريري نزلَ منها، فرحًا متشوقًا، وكأن النور دخلَ إلى قلبهِ العاتم من جديد حيث استوى النوران في قلبه و استقر، نور الإسلام الذيَ أنار بصيرته وطهَّرَ نفسه ونور الحب الذي غسل كل ما تعلق في عقله من أفكار هدَّامة زرعها في عقله أساتذته الصهاينة المجرمين فقد كان وجودها في هذه الدولة كفيلًا بأن يراها جنةً على الأرض، ثُمَّ طلبَ من أحد موظفي المطار أن يرشدهُ إلى اسم فندق قريب، واستقلَ سيارة أجرة متجهًا نحوَ الفندُق الذي أرشدهُ إليهِ الموظف.

وعندما وصلَ إليه قامَ بحجزِ أحدِ الغُرف، ثُمَ صَعَدَ ووضعَ حقائبهُ

فيها، وبعد انتهائه نظرَ إلى الساعة ليجدها السابعة صباحًا، فخرجَ من الفندُق مُسرعًا واستقلَ سيارةَ أجرة، طلب من السائق التوجه للشركة التي كانت تعملُ فيها سارة، لم يكن إدوارد يستطيعُ تحدُثَ العربية بشكلٍ جيد فقد كانَ يتحدثُ بكلماتٍ عربيةٍ متقطعة مع السائق.

وصلت السيارة إلى أمام الشركة، نزلَ إدوارد منها، وقف بجانب الباب الرئيسي ينتظرُ سارة َالتي كانَ دوامُها يبدأ الساعة الثامنة، كان ينظرُ بينَ الحين والآخر إلى ساعته وقلبه يتوق لرؤيتها، كأنه سجين يتوق للحرية، كانت نظراتهُ تراقب المارة والسيارات والمركبات العامة والخاصة، لقد كان أطول انتظار في حياته، فقد خادعهُ الوقت، يشعرُ بأنه قد انتظرَ عمرًا ليرى ساعتهُ فتكون قد مضت دقيقة كان حائرًا لا يدري ماذا عليه أن يفعل حين يراها، وكيف سيبدأ الحديث؟ كيف سينظرُ إلى عينيها من جديدٍ؟ والذنب قد أكل قلبه، هل ستبتسمُ لهُ تلك الابتسامة العذبة عندما تراه وتندفعُ إليهِ بشغف كما كانت تفعل في السابق؟ أم أنها ستكمل طريقها كأنه لم يكن ليكون كعابر سبيل يطلبُ قلبها فتصده، كلها تساؤلات كانت تضجُ فيها أفكاره لكنه كان مصمّمًا على أن يعانقها حتى لو صدته، لعل لهيب الشوق الذي يحرق قلبهُ يهدأ قليلًا، كان متأهبًا لأي شيء من الممكن أن يبدر منها عندما تراه.

ارتواء

توقفت سيارةُ أجرة بالقربِ من بابِ الشركة، قامت سارة بالنزولِ منها، كانت تبدو فاتنةً كعادتها دومًا شاردة لكن ليس كعادتها، فقد أصبح الشرود وانشغال الذهن جزءًا منها منذ غادرت لندن، نظَرَ إدوارد إليها مبتهج الفؤاد، كانت عيناهُ لا تقوى على رؤيةِ غيرها، وقلبهُ ينبضُ مُتسرعًا من الشوقِ والحنين.

كانت سارة تتوجهُ نحو باب الشركة دون أن تنتبهَ لوجودِه، وقفَ أمامها، للوهلة الأولى ظنت أنها تتوهم وجوده، أو أن شخصًا آخر يقف أمامها، لكنها تراه هو من كثرة انشغال قلبها وعقلها به، تمعنت فيه جيدًا، ارتعش قلبها قائلةً بدهشة «إدوارد!!!!!!!».

اقتربَ منها وعانقها دون أن ينطُقَ بحرفٍ واحد، كأنه ظمآن تائه في صحراء البعد، والآن قد ارتوى، كانت سارة مصدومةً مدهوشةً تكادُ لا تصدقُ، ما حدث فكأن الله أراد أن يجبر انكسارها فردهُ إليها وردها إليه، أبعدته عنها بلطف، وضعت كفي يديها على خديهِ، نظرت إلى عينيهِ بلهفة، اقتربت منهُ وعانقتهُ بشدة، تكادُ دموعُ الفرحِ تتساقطُ من عينيها، فإنَ الحُبَ بداخلها استطاعَ التغلُبَ على كُلِ ما فَعلهُ بها، فقد كانَ لقاءً حميميًّا خشعت فيهِ روحاهما فرحًا.

وبعد أن هدأت نفوسهما من لهفةِ اللقاء، نظرَ إدوارد إلى عيني سارة

وهو يمسكُ بيديهِ يديها:

– لقد قتلني ألمُ البعدِ عنكِ، لماذا ابتعدتِ عني هكذا، وقطعتِ سُبُلَ الوصال؟

سارة وقد ارتجفَ قلبُها حُزنًا:

– أنتَ من نسيتني ولم تعُد تهتمُ لأمري.

ابتسمَ إدوارد بحرقة:

– كيفَ نسيتُك؟ لقد كُنتُ أسألُ عنكِ جوانا يوميًا وأنتِ من رفضتِ أن تُكلميني أو تُرسلي إليَّ رسالةً تُهدِّئ نارَ قلبي.

تفاجأت سارة بكلامِ إدوارد، تحدثت ووجعُ الخيبة يتغلغلُ في قلبها:

– إنها لم تُخبرني بشيء!!!

ردَ إدوارد مصدومًا غاضبًا:

– هل كانت تكذبُ عليّ؟؟

التفتت سارة حولها ثُمَّ تنهدت:

– دعنا نذهبُ لنجلسَ في مكانٍ ما ونتحدث كما نشاء ليس من اللائقِ أن نبقى هكذا في الشارع.

أمسكت بيدهِ لتصدق وجودها بقربه، فقد كان فرحًا يفوقها أخذتهُ إلى مقهىً قريبٌ من الشركة وطلبا فنجانين من القهوة، وجلسا يتحدثانِ عن كُلِ شيء حدثَ في بُعدهما عن بعضهما وعن غُربةِ الأيام التي مضت.

كانَ إدوارد يُخبرُ سارة كيفَ كانَ يحاولُ الوصولَ إليها ومكالمتها عن طريقِ جوانا التي أخبرتهُ بأنها قد نسيتهُ وأحبت زميلها.

اختلطت المشاعرُ في قلبِ سارة، فالفرح يغمرُ قلبها برؤيتها لحبيبها الذي قطَعَ كُل تلك المسافاتِ لرؤيتها، وحزنٌ من تصرفِ صديقتها التي كانت تعلم بحُبها الكبير لإدوارد، ومع ذلكَ حاولت أن تُفرقهما لتحظى هيَ بقلبه.

بينما كانَ إدوارد يمتلكهُ الفرحُ والسعادة على الرُغم من أنهُ كانَ غاضبًا من جوانا، إلا أنهُ كانَ مسرورًا لأن كلامها الذي يَجرحُ قلبهُ عن كُرهِ سارة لهُ وحقدها عليهِ كانَ كَذِبًا.

ياسر

كانَ ياسر جالسًا أمامَ مكتبهِ في الشركة ينظُرُ إلى مكتب سارة الفارغ المُجاور لمكتبهِ مفتقدًا لها، يترقبُ قُدومها من النافذة المطلَةِ على الشارع الرئيسي، وبعد أن تأخرت كثيرًا قامَ بالاتصالِ بها لكنها قامت بإغلاقِ هاتفها، فهي لم تُرد لشيء أن يشغلها عن إدوارد وعن محادثتهِ والنظرِ إلى عينيهِ اللتينِ كالبحرِ بلونهما الساحر واللتين كانتا تُشّعانِ عشقًا عندَ النظرِ إلى عينيها.

حاولَ ياسر الاتصالَ بها أكثرَ من مرة لكن دونَ جدوى، فقامَ بالاتصالِ بجوانا التي لم تُجبهُ لأنها كانت في جامعتها تحضرُ محاضرة، ثُمَّ قام بإرسال رسالة لها «مرحبًا جوانا إن سارة لم تأتِ للعمل اليوم هل من خطبٍ ما» ثُمَّ أتم العمل بالأوراق التي بين يديه في المكتب.

أوقات ممتعة

في حين غادرَ إدوارد وسارة المقهى وهما لا يبرحان النظر إلى بعضهما، فقد كانت عينا كل منهما تتعانق بتلك النظرات ذات اللهفة الجنونية، توجها إلى أحدِ المطاعم لتناولِ الغداء، ضغطت سارة بيدها بلطف على يد إدوارد وابتسمت قائلة: هل أعجبتك بيروت.

فاقترب منها وطبع قبلة رقيقة على خدها:

- أين ما تكونين يولد الجمال.

فابتسمت خجلة:

- أخبرني حقًا أيها أجمل.

شدها من يدها نحو صدره ثم قام بحملها وهو ينظرُ إلى عينيها:

- لقد قلت الحقيقة.

احمر وجهها خجلًا وهي تنظرُ إلى المارة كيف ينظرون إليهما، همست بصوتها الرقيق خجلةً:

- أرجوك أنزلني.

- قولي أحبك أولًا.

- أحبك...هيّا أنزلني.

وبعد أن أنزلها أشارت بسبابتها نحو محل لبيع شرائح الهاتف النقال

قائلة:

- هيّا لنشتري لك شريحة هاتف لبنانية من هناك حتى نتواصل سويًا.

فدخلا إلى محل بيع الشرائح وقاما بشراء الشريحةِ ثُم أكملا طريقهما نحو المطعم.

جوانا

انتهى دوام الجامعة، أخذت جوانا سيارتها من أجل العودة إلى المنزل، أمسكت هاتفها النقال، قامت بإعادةِ الاتصالِ بياسر بعد أن رأت مكالمتهِ:

جوانا: مرحبًا، كيفَ حالُكَ.

ياسر: أهلًا جوانا.

- لم أتمكن من الردِ عليك كُنتُ في الجامعة، هل هناكَ خطبٌ ما؟

- سارة لم تأتِ للعملِ اليوم، أردتُ أن أطمئنَّ عليها، اتصلتُ بها لكن هاتفها مُغلق.

- أمرٌ غريب، لقد رأيتُها صباحًا تستعدُ للذهاب، ربما غيّرت رأيها وبقيت في المنزل.

- حسنًا أخبريني ما الأمر عندما تعودين».

- أنا في الطريق عندما أصلُ سأعرفُ منها ما حدث وسأُخبرُك.

وصلت جوانا إلى المنزل، سألت الخادمة عن سارة لم تكُن تعلمُ شيئًا، وحاولت الاتصالَ بها دونَ جدوى.

أوقات ممتعة

حلَ المساءُ باكرًا، كانَ نهارًا شتويًا قصيرًا، خرجَ إدوارد وسارة من المطعم، كانَ إدوارد يُمسكُ يدَ سارة بثبات حيثُ كانت طريقةُ إمساكهِ ليدها تُشيرُ إلى مدى تشبُثهِ بها.

كانَ الجوُ باردًا خارج المطعم، كست الغيوم السماء وأصبحت النسمات باردة، فخلعَ إدوارد معطفهُ ليلبسهُ لسارة فرفضت سارة مبتسمة:

- لا أريد... ستبردُ هكذا ارتديهِ أنتَ فأنا لا أشعرُ بالبرد.

لم يكترث إدوارد لكلامِ سارة فألبسها إياهُ مُبتسمًا، نظرَ إلى عينيها بشغفٍ:

- إنَ وجودكِ بقربي يُدفِئني.

أكملا طريقهُما نحو الشاطِئ، تَذكرت سارة أنها قد أغلقت هاتفها فأخرجتهُ من حقيبتها وأرسلت رسالةً إلى جوانا «لا تقلقي أنا بخير سأخبرُكِ بكُلِ شيءٍ عند مجيئي رُبما سأتأخرُ قليلًا».

وعندما أصبحت الساعة العاشرة ليلًا كانت جوانا جالسة في غُرفتها، مشغولة البال تتساءلُ في نفسها عن سببِ تأخُر سارة، وتنظُرُ إلى حاسبها المحمول تارةً لعلَ إدوارد يُرسلُ لها برسالةٍ عبرَ الفيس بوك، وتارةً أُخرى تحاولُ الاتصالَ بهِ، لكنَ رقمهُ كانَ خارجَ الخدمة،

لم يخطُر ببالِ جوانا أبدًا أن يكونَ إدوارد قد جاء إلى لبنان لرؤيةِ سارة، فهي لم تكن تتوقعُ أن يكونَ قلبُ إدوارد مازالَ يخفقُ بحبها رغمَ محاولتها لتفريقهما.

أوصلَ إدوارد سارة إلى منزلِ جوانا، عانقها مودعًا إياها، أمسكت سارة بيدهِ ونظرت إلى عينيهِ وقلبُها هائمٌ في حبهِ قائلة:

- سأشتاقُ لكَ كثيرًا.

- وأنا أيضًا، غدًا سأراكِ عند الساعة الخامسة كما اتفقنا، وإذا تغيرَ رأيُكِ وأردتِ أن نلتقي قبلَ هذا الوقت أخبريني.

- لن أغيرَ رأيي فعليَّ الذهابُ إلى الشركة أولًا لأُنجزَ بعضَ الأعمال، اذهب الآن يا حبيبي.

كان الهواء باردًا فعانقها مجددًا طابعًا قبلة رقيقة على جبينها، ثُمَ مسح بيدهِ على خدها قائلًا:

- اذهبي الآن كي لا تمرضي.. سأنتظرُ الغد لأراكِ.

ابتسمت سارة وتوجهت نحو باب المنزلِ، بينما عادَ إدوارد أدراجهُ باتجاهِ الفندُق الذي لم يكُن يبعدُ كثيرًا عن منزلِ جوانا مُستعينًا ببعضِ الأشخاصِ في الطُرقات كي يُرشدوه.

لعنة الغيرة

في حين فتحت سارة باب المنزل ودخلت وهي لاتزال ترتدي معطفَ إدوارد والسعادةُ تغمُرُ قلبها وهي تُغني من فرحها الذي لا يوصف، سمعت جوانا صوتَ البابِ وهوَ يُغلقُ فخرجت من غُرفتها نحو الصالة، ونظرت إلى سارة:

- لماذا تأخرتِ هكذا؟ أينَ كُنتِ؟

- مع إدوارد لقد جاءَ لرؤيتي.

- إدوارد!!!

ابتسمت سارة وردت ضاحكة مبتهجة:

- نعم إدوارد.

اشتعلت نارُ الغيرةِ في قلبِ جوانا، وقالت غاضبة:

- مجنونةٌ أنتِ، إنهُ لا يُحبُكِ ألم أُحذركِ منه.

ردت سارة غاضبة:

- اتركيني وشأني، لماذا تسعينَ لتفريقنا؟

- أترُكُكِ وشأنكِ !!!! أنسيْتِ فضلي عليكِ؟

سارة غاضبة:

- لم أنسَ شيئًا لكنَ حياتي الخاصة لا أسمحُ لأحدٍ بأن يتدخلَ بها.

جُنَ جنونُ جوانا وأغشت الغيرةُ عينيها، فدخلت إلى غُرفةِ سارة بينما كانت سارة تتبعُها وفتحت بابَ الخزانة وأخذت تُمسكُ بثيابِ سارة وترميها أرضًا وهيَّ تقول:

- ارحلي... ارحلي من هنا.

حاولت سارة أن تُبعدَ جوانا عن الخزانة وهي تقول:

- سأرحلُ لكن اتركي ثيابي.

فدفعتها جوانا وأوقعتها على السريرِ الذي كانَ خلفَهُما وهيَ تقول:

- ابتعدي عني أيتُها القذرة...لو لم أسكنكِ منزلي لكُنتِ الآنَ مُتسولة تجوبُ الطُرقات.

ارتعشَ قلبُ سارة حُزنًا وهيَ تشعُرُ بالخيبة من كلام جوانا، وتساقطت الدُموعُ من عينيها فهي لم تكن تظنُ أن قلبَ جوَانا قاسٍ هكذا.

خرجت جوانا بعد أن أفرغت الخزانة وألقت بجميعِ ما فيها أرضًا، أخذت سارة تجمعُ ثيابها من الأرضِ وتضعها في حقيبتها وجسدُها يرتجفُ من ألمِ الخيبة.

كانَ الجوُ باردًا في الخارج، بدأت الأمطارُ بالهُطول، بغزارة، وضعَ إدوارد يدهُ في جيبِ بنطالهِ وأخرجَ هاتفهُ النقال ليحادث سارة فتذكرَ أن شريحة الهاتفِ التي اشتراها بقيّت معها في جيبِ المعطَف، فعادَ أدراجهُ ليَجلبَها حتى يستطيع التواصل معها وهو يحاول تذكر معالمِ

الطريقِ إلى المنزل ملتفتًا حوله ونظراتهُ تراقبُ الطرق المحيطة به ليعلم أي طريق عليه أن يسلك، يكاد يضيع في المدينة الصغيرة كما تاه في قلب سارة ولم يعرف طريق الرجوع عن حبها.

انتهت سارة من جمعِ ملابسها وأشيائها الأخرى، وخرجت من الغرفة مكسورةَ الفؤادِ والدموعُ تتساقطُ من عينيها لتجد جوانا جالسةً في الصالة محتدة المزاج ترمقها بنظراتِ استحقار، وكأن إدوارد كان محبوبها منذ البداية، وسارة سلبته منها، نظرت سارة إليها وهي تحاول كبت دموعها التي لو أعطتها حريتها لتاهت بينها معالم وجهها الطفولي، تحدثت بصوت مبحوح يغص بالخيبة والحزن وكأن أحدًا كان يمسك بها من عنقها بقوة ليخنقها:

- أشكركِ على استضافتي أنا ممتنةٌ لكِ.

بعد سؤال الناس واستذكار الطرقات التي سار بها مع سارة، وصل إلى بيت جوانا ما إن رأته حتى اندفعت إلى أحضانه، تحاول استمالته وإغرائه، دفعها برفق وسألها.

- أين سارة يا جوانا؟

- ومن تكون سارة؟ تلك التي جئت لتسأل عنها رغم ما فعلته بها.. انساها.. فأنا الوحيدة التي أحبتك.

كرر سؤاله مرة أخرى وبصوت أعلى رافعًا يده محذرًا وغاضبًا.

- أين سارة يا جوانا؟

– طردتها.. أعدتها إلى الشارع الذي جاءت منه، وإن كنت تريدها اذهب وابحث عنها.

خرج إدوارد غاضبًا، أرسل عينيه طوافة بحث ورؤية، علَّه يلمح طيفًا في شارع ما...

على غير هدى سار يمينًا ويسارًا، يبحث عن أي شيء يُرشده إلى طيف حبيبته التي لم يعرف كيف استعادها.. وها هي تختفي فجأة.

في زواية أحد الشوارع التقى فتاة ومن دون مقدمات، سألها:

– هل مرَّت من هُنا فتاةً ذات شعر أسود طويل ومعها حقائبُ سفر.

– نعم.

ثُمَّ أشارت لهُ إلى إحدى الطُرق قائلة: لقد ذهبت من هناك أظنُ أنها ذهبت نحوَ الشاطِئ.

– أشكُركِ سيدتي.

كان الناس في الشوارع يسارعون للاختباء في منازلهم من برودة الجو، بينما كان إدوارد مُسرعًا إلى الطريق الذي أشارت لهُ إليهِ الفتاة وهو يلتفت حولهُ لعلهُ يراها، ثُمَّ أكملَ نحوَ الشاطئ وقد تبلل بالكامل من المطرِ الغزيرِ الذي كانَ يهطُلُ بشدة، كانَ يمشي مُسرعًا باحثًا عنها

وظل يمشي بمحاذاة الشاطئ حتى تمكنَ من رؤيتها، كانت تبعُدُ عنهُ بحوالي مئة متر، ووقف يستريح لاهثًا، كأن الحياة غمرته من

جديد، وهدأ قلبهُ المرتجف، لها بصوتٍ عالٍ لكنها لم تلتفت لهُ فمشى نحوها متعبًا.

كانت سارة واقفةً تنظُرُ للبحرِ والحزنُ أنهكَ قلبها، ومنع دموعها من السقوط، فقد كانت تشعرُ بثقل شيء يجلس على قلبها يمنعها حتى من البكاء، كانت تحس ببرد شديد لكنهُ ليس برد الجو، ما تشعرُ به البرد الذي يثلجُ الروح الحنونة الدافئة التي لم تكن تشعرُ برغبتها في أن تعيش ولا برغبة الحياة في أن تحتويها

تركت أمتعتها على الشاطِئ، أخذت تقتربُ من البحر الذي كانت مياههُ تغمُرها تدريجيًا كلما تقدمت راجيةً منه أن يكون عطوفًا محبًا لروحها البائسة، كأنها لم تجد ملاذًا لها غيرُه لتضمها مياههُ الباردةُ التي لم تكن تشعرُ ببرودتها وتدفئُ بردَ قلبها الحزين وتسقي روحها الظمآنة.

كادت المياهُ تغمُرُها بالكامل، كانَ إدوارد يصرُخُ خائفًا طالبًا منها التوقُف وهو يركض نحوها لكنها بقيت تتقدم حتى غمرتها المياه.

وصَلَ إدوارد إلى المكان الذي كانت تقفُ فيهِ سارة، تقدمَ نحوَ البحرِ مسرعًا، ثُمَ غطسَ في المياهِ خلفها يبحثُ عنها.

استطاعَ إدوارد الإمساكَ بها وإخراجها من المياه، ووضعها على الشاطئ ملهوفًا، وخوفهُ عليها أربكَ قلبه ثُمَّ وضعَ فمهُ على فمها وأخذَ ينفُخُ فيهِ حتى تستطيع التنفُس، وهو يضغطُ على فتحتي أنفها بإصبعيهِ وبقي يُكرر عملية التنفس الاصطناعي حتى تأكدَ من أنَ مجرى التنفس أصبحَ مفتوحًا لديها وأنها عادت للتنفُس بشكل طبيعي.

تنّهدَ إدوارد وضمها إلى صدرهِ، تكادُ الدموع تتساقطُ من عينيه:

- لماذا فعلتِ هذا بي؟

كانت سارة ترتجفُ من البرد وهيَ فاقدة للوعي، وكانت ثياب إدوارد أيضًا مبللة ويكادُ البردُ يُحطمُ عظامه لكنهُ لم يكترث لنفسهِ فقد تفوقَ خوفهُ عليها على كُلِ شيء.

رأت امرأةٌ كانت تنظُرُ من النافذة في أحدِ الشاليهات إدوارد وسارة فعطفت عليهما، طلبت من زوجها أن يذهبَ إليهما ليُساعدهُما، فلبىّ الرجل طلب زوجته وذهب مسرعًا نحوهما.

طلب من إدوارد أن يُدخلَ سارة إلى الشاليه، قامَ بحملِها وأدخلها حيثُ قامت المرأة بتبديلِ ملابس سارة المبللة وألبستها ثيابًا من ثيابها، وأعطى الرجلُ لإدوارد ثيابًا ليغيرَ ملابسهُ المبللة.

اتصلَ الرجُل بأحدِ الأطباء وطلبَ منهُ القُدوم إلى الشاليه، بينما كانت المرأة وإدوارد يحاولانِ إيقاظَ سارة لكن دونَ جدوى.

قَدَمَ الطبيبُ ودخلَ إلى الغُرفةِ الموضوعة فيها سارة، خرجَ الرجل من الغُرفة آخذًا معهُ إدوارد إلى الصالةَ بعد أن شرحَ لهُ إدوارد ما حدث وبقيت المرأة مع الطبيبِ.

بعد قليل خرجَ الطبيب فقالَ لهُ إدوارد بلهفة مُتحدثًا الإنكليزية:

- ماذا حدث؟ هل استيقظت؟

ردّ الطبيبُ بالإنكليزية:

- لقد وخزتُها بإبرةٍ مُهدئة، إنها تعرَضت لأزمةٍ نفسية وإن لم تستيقظ من الآن حتى الصباح يجبُ نقلُها إلى المستشفى، ويجبُ أن تضعوا لها كمادات ماء بارد وسأصفُ لها بعض الأدوية التي يجب أن تتناولها عندما تستيقظ للشفاء من الحُمى والزُكام وأنتَ أيضًا يجب أن تتناول هذه الأدوية.

بقيَّ إدوارد وسارة في الشاليه بعد أن طلبَ الرجُل من إدوارد ذلك، أخذَ الرجلُ وصفةَ الطبيب وذهبَ لشراءِ الدواء رافضًا طلبَ إدوارد بالقدوم معهُ.

في حين جلسَ إدوارد بالقُربِ من سارة يضعُ لها كمادات الماء البارد، وينتظرُ لعلها تستيقظ وعند عودةِ الرجل دخلَ إليهِ وأدخلَ معهُ الطعامَ والدواء وطلبَ من إدوارد أن يتناولَ الطعام ويشرب الدواءَ بعد ذلك، لقد كانت لغةُ التواصُل بينَ إدوارد والرجُل الإشارة فلم يكن الرجلُ يُجيدُ الإنكليزية ولا إدوارد يُجيدُ العربية.

حلَّ الصباح وفتحت سارة عينيها وهيَ تضعُ يدها على رأسها من الألم، نَظرت حولها لتجدَ إدوارد نائمًا بجانبها.

جلست وأيقظته وهيَ تمسحُ على وجههِ وشعرِه متأملةً ملامحَ وجهه التي كانت تأسرها بجمالها، فتحَ عينيه ونهضَ ملهوفًا:

- سارة حبيبتي.

ثُمَّ سَعَلَ بشدة واضعًا يدهُ على فمهِ.

قالت سارة بصوتٍ مُتعبٍ مريض:

- أنا آسفة لِمَا حدث سامحني، أينَ نحنُ الآن؟

إدوارد بحُزن:

- نحنُ في شاليه لأشخاصٍ ساعدونا ليلةَ البارحة، لو كنتِ تحبينني حقًا لما فعلتِ هذا.

- إنَ حُبّي لكَ هو أحد الأسباب الرئيسية في إقدامي على هذا.

- لماذا؟؟؟ لقد قُلتِ أنكِ غفرتِ لي ما مضى.

أخفضت سارة رأسها حزينة:

- ليس لهذا السبب لأنني لا أستطيعُ الزواجَ منكَ لأن ديننا مُختلف ولأني أخشى أن يأتي يومٌ ويقسو قلبُكَ وتكرهني كما فعل معظم الذينَ عرفتُهُم، فجميعهم يحبونني أولا ثم يكرهونني.

ابتسمَ إدوارد وأمسكَ يديها وقبلهُما ثُمَّ نظرَ إلى عينيها:

- أعدكِ بأنني سأُحبكِ دومًا حتى ألتقط أنفاسي الأخيرة وسنتزوج لأنني غيرتُ ديني لأجلكِ.

- نعم يا سارة.. لقد اعتنقت الإسلام عن رغبة وحب لذلك الدين الوسطي القديم، وها أنا أقولها أمامك بكل صدق وثقة: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله» لقد قرأت الإسلام وحفظت بعض الآيات القصيرة وأنتظرك حتى تعلميني أركان الإسلام.. كيف أتوضأ وأصلي وأصوم.. وغيرها من العبادات أنت الآن حبيبتي ومعلمتي.. و...

- وماذا أيضًا؟

- وزوجتي على سنة الله ورسوله.

نظرت سارة إلى إدوارد بدهشة وقلبُها أصبحَ يرقصُ فرحًا:

- حقًا!..لماذا لم تخبرني البارحة؟

إدوارد:

- كُنتُ أرغبُ أن أُخبركِ بطريقةٍ أُخرى.

اقتربت سارة من إدوارد وعانقتهُ بقوة، وعيناها تدمعانِ من شدةِ الفرح، ونبضاتُ قلبِ كلٍ منهما متسارعة قوية كأن قلبيهما كانا يتحدثانِ لبعضهما أثناءَ العناقِ.

قرعت المرأة باب الغُرفة، دخلت أحست بسعادة غامرة عندما رأت سارة استعادت وعيها، ثُمَّ طلبت منهُما الخروج لتناولِ الإفطار معها ومع زوجها.

تناولَ الجميعُ الإفطار، بدّلت سارة وإدوارد ملابسهما وغادرا الشاليه بعدَ أن أثنيا على أصحابها شاكرينَ فضلهم وكرمهم.

كانَ صباحًا مُشرقًا دافئًا يُخفي في ثناياه بردَ الليلةِ الماضية وقسوتها، حيثُ أخذ إدوارد وسارة يتمشيانِ نحوَ الفُندِق وعندَ وصولهما قامَ إدوارد بحجزِ غرفةٍ لسارة مُجاورة لغُرفتهِ.

استأذنت سارة من إدوارد ودخلت لتستريحَ في غُرفتها وطلبت منهُ أن يستريحَ هوَ أيضًا فكلاهُما قد أنهكما الزُكامُ والسعال.

دخل إدوارد الغُرفة وقامَ بتشغيلِ حاسوبهِ المحمول، ثُمَّ دخلَ إلى حسابهِ على الفيس بوك وأرسلَ رسالةً إلى سيمون يُشيرُ فيها إلى مكانِ مفتاحِ منزلهِ الجديد وموقع المنزل، ويطلبُ منهُ أن يقومَ بشراء كُل ما ينقصه وتجهيزهِ على أكملِ وجه، ثُمَّ استلقى على السرير منشرحِ الصدر، فقد كان سعيدًا بأن ما يتمناه سيتحقق لم يكن من قبلها رجلًا حالمًا لكنها أصبحت حلمه الذي استباح عقلهُ وقلبهُ منتجًا منهُ رجلًا حنونًا عطوفًا مؤمنًا، مسلمًا واعيًا نابذًا القتل والإرهاب متضامنًا مع الحق العربي في استعادة حلم أهله في فلسطين.. لا يشبه نفسه السابقة كان راضٍ عن نفسه بإرضائها محبًّا لها بكل تفاصيلها.

مضى أسبوعٌ وسارة وإدوارد يقيمانِ في الفندق في غُرفتينِ مُتجاورتين، يخرجانِ معًا صباحًا ويُمضيانِ نهارهُما سويًّا وفي المساء يعودُ كُلٍ منهُما إلى غُرفتِه، كان كلٌ منهما في منتهى السعادة ويأملانِ أن تدومَ سعادتهما دومًا دون أن يسلبها أي شيء منهما، لكن كما أن للحزنِ إن أتى نهاية فللسعادةِ أيضًا نهاية.

قبلَ موعدِ عودتهما إلى بريطانيا بيوم، قامت سارة بالذهابِ إلى التسوقِ برفقةِ إدوارد وقامت باختيار ثوب الزفافِ وبعض فساتين السهرة والأحذية ذات الكعب العالي ومستلزمات أخرى، كما قامَ إدوارد بشراء بدلةِ الزفاف الخاصة بهِ.

في صباحِ اليوم التالي استيقظت سارة بحيوية ونشاط، منشرحةُ الصدرِ يداعبُ الفرحُ روحها البسيطة، استحمت ثُمَّ ذهبت إلى إحدى

صالات التجميل حيثُ بدأت العاملات في الصالة بتجهيزها من أجلِ يومِ زفافها الذي سيعُقد الليلة، كانَ قلبُها يخفقُ فرحًا لهذا اليومِ المُنتظر.

وعند انتهاء كُل التجهيزات وارتدائها لثوبِ الزفاف، قامت بالاتصالِ بإدوارد الذي كانَ قد استقلَ سيارةً فخمة مع سائق من أحدِ مكاتبِ تأجير السيارات وتوجهَ نحو الصالة ليأخُذها إلى المطار ويعودانِ لبريطانيا.

وصلَ إدوارد إلى الصالة، نزلَ من السيارة، وقفَ أمامها ينتظرُ قدومَ سارة بعد أن أعلمها بوصوله.

عند خُروجها من بابِ الصالة سُحرَ بجمالها وتألقها، فكانَ واقفًا ينظُرُ إليها دونَ أن ترفَّ عينه مبهورًا بفتنتها، فقد كانت تبدو كحوريةٍ أنزلها الله له من السماء، ابتسمت لهُ سارة واقتربت منهُ قائلة: كم تبدو وسيمًا!.

أمسكَ إدوارد يدها وعيناه تغزلُ قصائدَ الحبِ قائلًا: لقد سحرني هذا الجمالُ الشرقي، فأنتِ تبدينَ أجملَ من الأميرات.

صعدا السيارة، عندما وصلت إلى المطار قامَ السائقُ بإنزالِ الحقائب من صُندوقِها وإدخالها إلى المطار، في حين كان إدوارد ممسكًا بيدِ سارة يُحدثُها وهما في قمةِ السعادة، فقد كان حلمًا بالنسبةِ لهُما لكن بفضلِ حُبهما الذي تغلبَ على كُلِ شيء استطاعا تحقيقه.

وصَلَ سيمون إلى المطار حيثُ كانَ قادمًا بسيارةِ أبيهِ التي أحضرها

معهُ عند عودتهِ من بريستول فمنزلُ عائلتهِ كان هناك، جلسَ ينتظرُ على أحدِ مقاعدِ الانتظار وصول طائرةِ إدوارد وسارة، في حين وصلت ميلا ورأت سيمون توجهت نحوهُ وجلست بجانبهِ قائلة:

- ألستَ صديقَ إدوارد؟

ابتسمَ سيمون ونظرَ إلى ميلا كأنها أعجبته:

- نعم، وأنتِ صديقةُ سارة وإدوارد أليسَ كذلك؟

جلسا يتحدثانِ سويًّا وعينا كل منهما تنجذب إلى عينيّ الآخر وقلب كلٍ منهما قد بدأ يخفقُ للآخر.

وصلت الطائرة، نزل إدوارد وسارة ثُمّ التقوا لقاءً حميميًّا، وصعدوا جميعًا سيارةَ والد سيمون مُتجهينَ نحوَ منزل إدوارد الجديد جلست ميلا بجانبِ سيمون وهيَ تُبادلهُ نظرات الإعجاب بينما جلس إدوارد وسارة في الخلف وكانت الأغاني الرومانسيّة تملأُ السيارة وتعجُ قلوبهم بالسعادة.

وعندما وصلت السيارة إلى منزلِ إدوارد حيثُ كان سيمون قد جهزَ الحلوى والعصير وجَهَزَ كُلَ شيءٍ للحفلة، أحضرَ سيمون شيخًا ليعقدَ قِرانَ إدوارد على سارة وبعدَ مُغادرةِ الشيخ قامَ سيمون بتشغيلِ الأغاني وسكبت ميلا العصير بينما قامَ إدوارد وسارة بتقطيعِ قالبِ الحلوى.

كانَ الجميعُ سعداء يرقصونَ سويًا حيثُ كانت ميلا ترقُصُ مع

سيمون، وسارة ترقُصُ مع إدوارد، ثُمَّ يقومون بالتبديل فسارة ترقُصُ مع سيمون ونظرها موجهٌ نحوَ إدوارد وإدوارد ينظُرُ إليها، وسيمون يرقُصُ مع سارة وينظُرُ لميلا وميلا تنظُرُ لهُ.

كانَ يومًا مليئًا بالفرحِ والهناء، عندما تأخرَ الوقتِ وانتهت الحفلة وَدّعَ سيمون وميلا إدوارَد وسارة.

خرجت ميلا مع سيمون، وصعدت سيارتهِ ليوصلها إلى منزلها، بينما كانت سارة مُرتبكةً بسبب بقائها مع إدوارد لوحدهما.

دخلَ سارة وإدوارد غُرفةَ النوم، جلسا على حافة السرير حيثُ اقتربَ إدوارد من سارة وطبعَ قُبلةً لطيفةً على جبينها، أخفضت سارة رأسها خجلًا، فوضعَ إدوارد يدهُ على خدِها برفق، ورفعَ لها وجهها قائلًا: سيبقى حُبي لكِ أبديًا.

ثُمَّ أمسكَ يديها وقبلهُما:

- أعدُكِ أن لا أُخيِّبَ ظنكِ بي مرةً أُخرى.

اقتربت منهُ سارة وعانقتهُ:

- سأبقى أحبُكَ حتى الموت.

صديقة إنجلينا

مضى شهرٌ ونصف، كان مفعمًا بالسعادة والاستقرار، حيثُ اشترى إدوارد محلًّا لبيع المُنتجاتِ الغذائية لا يبعد عن منزلهِ كثيرًا، كما كانَ يساعدُهُ في العملِ شابٌّ صغير، كانَ سيمون أحبَ ميلا التي كانت تُبادلهُ الشعور نفسه.

لكنَ لكلِ شيءٍ ثمن، حتى السعادة يدفعُ المرءُ ثمنها لاحقًا، ويكونُ ثمنها باهظًا، ففي أحد الأيام كانَ إدوارد في المحل، توقفت سيارةٌ بيضاء أمامها، نزلت منها فتاةٌ شقراء ترتدي النظارات الشمسية، ودخلت إليها، نظرت إلى إدوارد متمعنةً فيه، وكأنها تعرفُه ثُم قالت: هل لديكَ نبيذ؟

- لا سيدتي.

خرجت الفتاةُ مُسرعة من المحل وصعدت في سيارتها، أجرت اتصالًا هاتفيًا قالت فيه:

- إنجلينا لقد رأيتُ الشابَ الذي تُحبينهُ والذي تحدثتِ لي عنهُ في المرة الماضية، عندما أصلُ سأُخبرُكِ بكُلِ شيء.

عند الطبيب

كانت ميلا تجلسُ مع سارة في صالةِ الانتظار في عيادةِ أحدِ الأطباء، كانَ لديها شكٌ بأنها تحملُ في أحشائها جنينها الأول، لكنها أرادت التأكُد من ذلك، كانت تأملُ بأن يكونَ ظنها في محلِه، أن تنجبَ طفلًا أو طفلةً تشبهُ إدوارد في كل شيء، كانت سارة تترقبُ دورها بفارغ الصبر واضعةً يدها على بطَنها تقول في نفسها: «سأكون أمًا صالحةَ فيما لو كنت حاملًا، لن أتصرف كما تصرفت والدتي، ستكون لدي أهم من أي شيء، أنت وأبيك سأرعاكما أكثر من نفسي... أحبكما كثيرًا فليحفظك الله لي يا إدوارد»

كريستين

وصلت السيارةُ البيضاء إلى منزلِ إنجلينا الذي كانَ مجاورًا لمنزلِ والدي إدوارد، ركضت إنجلينا نحوَ صديقتها التي ما زالت في السيارة بعد أن كانت تترقبُ قدومها من النافذة:

- كريستين أخبريني ماذا حدث؟

- لقد رأيتُهُ، كانَ يبيعُ في أحد المحلات في مدينةِ بريستول.

- هل عرفكِ؟؟؟؟

- لا...لكن...لكن....

غضبت إنجلينا:

- لكن ماذا؟؟

- كانَ يرتدي خاتمَ الزواج أظنهُ قد تزوج.

- هل يعقل أن يكونَ قد تزوجَ تلك العربية المقرفة!!!

ركضت مُسرعة نحوَ منزل والديْ إدوارد، بينما كانت كريستين تتبعها، دخلت من بوابتهِ الكبيرة كانَ يوجدُ خلفها حديقةٌ كبيرة طرقت باب المنزل الداخلي فتحت الخادمة ودخلت مُسرعة تُنادي:

- عمي بيتر.. عمي بيتر.

خرجت والدةُ إدوارد من الغُرفة نظرت نحو إنجلينا مُتعجبة:

– ما بكِ إنجلينا؟؟ إن بيتر في حديقةِ المنزل بالقُربِ من المُستودع.

خرجت إنجلينا مُسرعة نحو والد إدوارد الذي كان ساخطًا على ابنهِ الوحيد، عندما وجدتهُ جلست معهُ وكريستين وحدثتهُ بما رأت كريستين، وطلبت منهُ أن يُرسلَ سيارةً من رجالهِ لمرافقتهما لتذهبا في طريقهما إليهِ.

خرجت إنجلينا مع كريستين في سيّارتها، كان كرهُ سارة وغيرتها منها يكادُ يخرجُ من عينيها، وكانت سيارةٌ فيها رجلان من رجالِ والد إدوارد تتبعهُما.

نحو الأمومة

كانت سارة خرجت من عيادةِ الطبيب وهيَ تكادُ تطيرُ من الفرح، عانقت ميلا وهيَ تضحكُ سعيدة قالت لها مبتسمة:

- لا تُخبري أحدًا بحملي، أريد أن أخبر إدوارد بطريقتي، حتى سيمون لا تخبريه حتىَ أخبر إدوارد.

مسحت ميلا بيدها بلطف على بطن سارة:

- لا تقلقي لن أخبر أحدًا.

- هل سيفرحُ إدوارد بهذا؟؟؟

- بالتأكيد سيفرح، ألا تشعرين بحجم حبهِ لكِ، إن طفلًا منكِ سيكون بالنسبةِ لهُ شيئًا مقدسًا.

فرحت سارة بكلام ميلا، وانتعش قلبها وقامت بشراءِ الطعام وبعضِ الحلوى، عادت نحوَ منزلها بينما ذهبت ميلا لمُقابلةِ سيمون الذي ينتظرها مشتاقًا في أحدِ المقاهي.

فرح غير مكتمل

دخلت سارة محلَ إدوارد قبلَ عودتها للمنزل، التفت إدوارد نحوها واقتربَ منها وعانقها:

– أهلًا بحبيبتي الجميلة، هل عُدتِ الآن؟

سارة والفرحُ يبرقُ في عينيها:

– نعم.

نَظرَ إدوارد إلى سارة مُعاتبًا إياها:

– لماذا لم ترتدي الشعرَ الأشقرَ المُستعار الذي أحضرتهُ لكِ؟

طبعت سارة قُبلةً رقيقةً على خدِّ إدوارد:

– لا تقلق، اتبعني بعد نصف ساعة إلى المنزل ريثما أُحضرُ الطعام.

قبلَ خُروجها من المنزل أشارت إليهِ قائلة: إياكَ أن تتأخر.

خرجت من باب المحل فرأتها إنجلينا التي كانت تصفُّ سيارتها بالقُربِ من هناك، فطلبت من كريستين أن تتبعها لتعرف إلى أينَ ستذهب.

تبعت كريستين سارة وعلمت مكانَ منزلِها، في حين دخلت سارة المنزل ووضعت الأكياس التي كانت تحملُها في المطبخ، ثُمَّ أخذت تبدلُ ملابسها فارتدت فستانًا جميلًا ورديَّ اللون، وأخذت ترُتبُ الطعامَ على الطاولة وتسكُبُ العصير.

خرَجَ إدوارد من محلّه متجهًا نحوَ المنزل، في حين وقفت السيارتان أمامَ منزلِهِ بعد أن أرشدتهم كريستين إلى الطريق تنتظرانِ خلو الطريقِ الفرعي الذي يقعُ فيهِ منزلهُ.

قُرِعَ بابُ المنزل بعد أن أصبحَ الطريقُ فارغًا اتجهت سارة نحوهُ قائلة: من القارِع؟.

أجابَ أحدُ الرجال:

– أنا سيدتي، لقد أرسلَ إدوارد معي بعضَ الأشياء.

كانَ إدوارد قد وصلَ لبدايةِ الطريقِ الذي يُؤدي إلى منزلهِ الذي يقعُ في طريقٍ تقلُ حركةَ الناسِ فيه.

في حين فتحت سارة الباب أمسكها الرجُلان بقوة، أحدهما وجّه لها لكمةً قويةً على وجهها ففقدت الوعي وضعاها في صندوقِ السيارة ومضت بسرعة.

رأى إدوارد الرجلين يضعانِ سارة في الصندوق ركضَ نحوهما وهو يصرُخ «توقفا» لكن الرجلين صعدا بسُرعة في السيارة التي انطلقت ولم يستطع إدوارد اللحاقَ بها.

استقلَ سيارة أُجرة، طلبَ من سائقها تتبُع السيارة السوداء، التي كانت تسيرُ بسرعة وهيَ تتبعُ سيارة كريستين وإنجلينا وتتبعُهما سيارة الأُجرة التي استقلها إدوارد.

علمَ إدوارد أن السيارتين متوجهتان نحوَ منزلِ والديه، قبلَ

الوصولِ للمنزل الذي كانَ يقعُ على أطراف مدينة لندن وسطَ حديقةٍ صغيرة بحوال مئة متر ونصف، نفذ وقود سيارة الأجرة، فخلعَ إدوارد ساعتهُ باهظة الثمن وأعطاها للسائق كأجرةٍ لهُ، ثُمَّ نزلَ من السيارةِ مُسرعًا متجهًا نحوَ منزلِ والديه وهوَ يركُض لأن الطريقَ المؤدي للمنزل تقلُ فيهِ حركةُ السيارات ومحاطًا بالأشجارِ من جانبيه.

وصلت السيارتان إلى المنزل، طلبت إنجلينا من الرجالِ الواقفين على الباب الخارجي إغلاقَ البَاب وعدم فتحهِ لإدوارد بأمرٍ من والدِهِ.

توجهت نحوَ السيارة السوداء، فتحت صُندوقها وأمسكت سارة التي كانت بالكاد قد استردت وعيها من شعرها وأنزلتها وهيَ تشدُها منهُ، سارة تصرخ ألمًا أدخلتها إلى المُستودع ودخلت كريستين خلفها وأغلقت الباب.

قيّدت إنجلينا سارة على كُرسي بمساعدةِ كريستين أخذت تضرُبها فتلكُمها تارةً وتارةً تصفعُها وهي تشتمها بأقبحِ الكلماتِ وتقللُ من شأنها ثُم أشعلت سيجارتها وبدأت تُدخن.

وصلَ إدوارد إلى باب المنزل الخارجي الذي كانَ مُغلقًا، أخذَ يطرُقهُ بقوة لكن دونَ أن يفتح لهُ أحدٌ، سمعت أم إدوارد صوتَ الباب وصوتَ صُراخ ابنها، خرجت من المنزل وتوجهت نحوَ الباب ملهوفةً مشتاقة إليه وقامت بفتحهِ، دخلَ إدوارد مُسرعًا وهو يلهثُ من التعب وأخذَ يصرُخُ:

- أينَ هيَ؟

اقتربت والدتهُ نحوهُ ومسحت على كتفهِ:

- هدئ من روعكَ يا بني.

أمسكَ إدوارد يدَ والدتهِ وقبّلها:

- أرجوكِ يا أمي لا تؤذوها.

سمعوا صوتَ صُراخِ سارة بعد أن أطفأت إنجلينا سيجارتها بذراعِها.

ركَضَ إدوارد نحوَ المستودع لكن والدهُ الذي كانَ واقفًا على الشُرفة أشارَ لرجالهِ بالإمساكِ بهِ.

أمسكَ خمسةُ رجالٍ بإدوارد واستطاعوا تثبيتهُ جيدًا، بينما كانت والدتهُ حزينةٌ على حالِ ابنها لا تدري ماذا تفعل؟

صاحَ والد إدوارد:

- قيدوهُ في قبوِ المنزل.

نظرت أمُ إدوارد نحوَ والدهِ بغضب:

- لكنهُ ابننا الوحيد.

الوالد:

- لقد نسيَّ أننا والداه من أجلِ تلكَ الفتاة القذرة.

أخذَ الرِجالُ إدوارد وقيدوهُ في القبو وهوَ يصرُخ:

- اتركوني..سأقتلُكم جميعًا.

حاولَ إدوارد فكَّ قيودهِ لكنهُ لم يتمكن، كانت إنجلينا تقومُ بتعذيبِ سارة وإطفاءِ السجائرِ في جسدها وكريستين تشاهدُ مستمتعةً بذلك.

بينما كانَ إدوارد يصرُخُ ويُناجي والدتهُ لتفُكَ قيودهُ التي عجزَ هوَ عن فكها وتُنقذَ سارة من بينِ أيديهم، لكن والدهُ لم يسمح لوالدتهِ بالدخولِ إليه كما كانَ يضعُ اثنين من رِجالهِ حرسًا على باب القبو.

حلَّ المساءُ وخرجَ والدُ إدوارد من المنزل ذاهبًا إلى اجتماعٍ في عملهِ، دخلت الوالدة المُستودع، وجدت كريستين وإنجلينا يضرِّبان سارة التي كادت أن تفقد الوعي من شدة التعذيب، نظرت إليهما قائلة:

- هذا يكفي أنا سأقتُلُها.

إنجلينا:

- اسمحي لي سيدتي فأنا أريدُ أن أُعذبها حتى الموت لأُخمدَ نارَ قلبي.

صرخت الوالدة بغضب:

- إنجلينا يكفيكِ تدخلًا بشؤونِ عائلتنا، خُذي صديقتكِ وارحلي، ابني أسيرٌ في القبو وأنتِ تستمتعينَ هُنا.

خرجت إنجلينا وصديقتها وملامحُ الغضب تبدو على وجهيهما وأغلقت إنجلينا بابَ المستودعِ خلفها بقوة.

اقتربت الوالدة من سارة، أَخذت تنظُرُ إليها، وكانت سارة بالكادِ قادرةً على فتحِ عينيها توسلت إلى الوالدة قائلة بصوتها الذي كانَ

بالكادِ يَخرُجُ من فمها:

- أرجوكِ سيدتي اتركوني وشأني.
- سأُساعدُكِ لكن لديّ شروط.
- سأفعلُ ما تريدين.
- سأتظاهرُ بأني سأقتُلُكِ وأنتِ ستتظاهرينَ بالموت، ثُمَّ سأُرسِلُكِ مع أحد رجالي الموثوقين إلى المطار لتعودي إلى دولتكِ، وسأُخبرُ إدوارد أنكِ قُتلت وشرطي أن تنسي إدوارد ولا تحاولي الاتصالَ بهِ حتى ينساكِ ويعودَ لنا كالسابق.
- سأفعلُ ما شئتِ، لكنَ جوازَ السفر الخاص بي وأوراقي التي سأحتاجُها بقيت في المنزل، أنا لا أملِكُ شيئًا.
- عندما تصلينَ أنتِ والسائق لمكانٍ بعيدٍ من هُنا، أخبريهِ ما الذي تريدينهُ من منزلكِ وهو سيُحضره، لكن عودي بعد أن تحصلي على أوراقكِ فورًا إلى ديارِكِ، وإن خالفتِ الوعد سأقتُلُكِ أنا وستنالينَ أشدَّ من هذا العقاب.
- أعدُكِ أن أفعلَ كل ما تريدين، لكن أخبري إدوارد أن وصيتي لهُ كانت ألَّا يُؤذي نفسهُ أبدًا.

كانت والدةُ إدوارد امرأةً حازمة تحملُ في طياتِ قلبها الرقةَ والطيبة، أطلقت النار على إحدى زوايا المُستودع القريبة من الأرض كي لا يظهرَ أثرُها واضحًا في الجدار، تظاهرت سارة بالموت، ثُمَّ

ندهت إلى أحدِ الرجال وأمرتهُ بما يجب عليهِ فعله وأوصتهُ بأن يبقى هذا سرًّا.

جُنَّ جنونُ إدوارد عندما سمعَ صوتَ إطلاق النار، فأخذَ يصرُخُ ويُحاولُ فكَ قيودهِ بقوة لكن دونَ جدوى.

وضعَ الرجُل سارة التي لم تكُن تُبدي أيَّة حركة في صندوق السيارة، وانطلق بها حيثُ كانَ الطريقُ فارغًا مُظلمًا والسماءُ شديدةَ السواد كأنها تنعي ما حدث.

عندما وصلت السيارة إلى مكان بعيدٍ عن المنزل، قامَ بإخراجِها وطلَبَ منها أن تجلسَ بجانبهِ كي تُرشدهُ إلى طريقِ منزِلها لإحضارِ الأوراقِ والمال منهُ.

وصلت السيارة أمام المنزل وشرحت للرجُل مكانَ الظرفِ الذي كانَ يحوي جوازَ السفرَ ووثائق خاصة بها وبعض الوثائق الخاصة بإدوارد وعقد الزواج، كما طلبت منهُ إحضارَ المال الموضوع في نفس مكان الظرف.

دخلَ الرجل من بابِ المنزلِ الذي كانَ مازالَ مفتوحًا، وقام بإحضارِ الأوراقِ والمال، ثُمَّ توجها نحوَ مطار لُندن، حجزتْ في أول رحلة مُنطلقة نحوَ الجمهورية العربية السورية.

قتل وهمي

عادَ والدُ إدوارد وأخبرتهُ والدتهُ أنهم قاموا بتعذيبِ سارة ثُمَّ قتلوها وتخلّصوا من جُثتها.

دخلَ الوالدُ القبوَ برفقةِ اثنين من رجالهِ وزوجتهُ كانت تمشي خلفهما مُترددة، تخشى على ابنها من الحُزنِ الذي سيَحلُ بهِ.

أمرَ اثنين من رجالهِ بفكِ قيودِ ابنهِ، فنَظرَ لهُ إدوارد وصرخَ باكيًا:

- أينَ سارة؟...أينَ زوجتي؟

انتهى الرجالُ من فكِ قيودهِ ولم يجبهُ أحدٌ على سؤالهِ، كانت والدتهُ تقفُ مُخفضةً رأسها أرضًا تخشى ما سيحدُث.

نظَرَ إدوارد إليهم جميعًا ثُمَّ صاحَ بقوة:

- أينَ هيَّ؟؟؟؟؟؟

نظرَ إليهِ والدهُ وضحكَ ضحكةً ساخرة:

- حقًا أنتَ في حالٍ مُضحك.

اقتربَ إدوارد من والدهِ ووضعَ كفيّ يديهِ على عنقِ والدهُ بقوة وهو يقول:

- أينَ زوجتي؟

قامَ الرَجُلان بإبعادِ إدوارد عن والدهِ الذي كادَ يختنق، ووضعا يديهِ

خلفهُ ثُمَّ قامَ والدهُ بصفعهِ بقوة وهو يقول:

– تُريدُ قتلي لأجلها...لقد جُننت.

نَظَرَ إدوارد إلى أمهِ بحُزن

– أخبريني يا أُمي أينَ هيَ؟ ماذا فعلتُم بها؟

كانت الأُمُ تكادُ أن تبكي على حالِ ابنها وفؤادها يتألمُ حزنًا عليهِ هي لا تدري ماذا تقول، أجابهُ والدهُ بغضب:

– لقد قتلناها وتخلصنا من جُثتها والأفضلُ لكَ أن تعودَ لرُشدك.

سقطت الدموعُ من عيني إدوارد وعجزَ لسانهُ عن الكلامِ من شدةِ الحُزن، فقد أحسَّ بأنَ قلبهُ يتمزق.

أمرَ الوالدُ رجالهُ بأن يلقوا بإدوارد خارجَ المنزل وأن يُغلقوا البابَ الخارجي، أخذت أُمهُ تتوسلُ لأبيهِ بألَّا يفعلَ هذا، لكنهُ لم يُنصت لها، نظرت إلى إدوارد والدموعُ تترقرقُ في عينيها:

– لقد أوصتني سارة بأن أُخبركَ بأنَ وصيّتها لك ألَّا تؤذي نفسكَ بعد موتها.

كانَ إدوارد كجُثةٍ حية قادرةً على التنفسِ والقيامِ بكُلِ الوظائفِ التي يطلُبها الجسد لكنها غير قادرة على الحياة.

وبعد أن ألقى الرجالُ بهِ خارجَ المنزِل، أخذَ يمشي نحوَ المدينة وكأنهُ مُغيَبٌ عن الوعي، يمشي ويتذكرُ سارة وأيامهُما معًا وتتساقطِ

الدُموعُ من عينيه يمشي ويتذكرُ حزينًا حتى تعبَ قلبهُ من الألمِ وعقلهُ من التفكيرِ ففقدَ وعيهُ وسَقَطَ أرضًا مغشيًّا عليه.

كانت السيارة التي فيها الرجُلُ وسارة تقفُ أمام المطار وعندما حانَ موعدُ الرحلة شكرت سارة الرجُلَ وطلبت منهُ أن يشكُرَ سيدتهُ على فضلها، ثُمَ دخلت المطار وصعدت الطائرة وهيَ تتألمُ مُن الحزنِ الذي أنهكَ قلبها، ومن الجراحِ التي في جسدِها، لكنَّ ألمَ الروحِ كانَ أعظمَ بكثيرٍ من ألمِ الجسد، كانَ الناس في المطار ينظرون إلى وجهها الذي ستخرجٍ الدماءِ منهُ من شدة التعذيب، كانت كلما نظرَ إليها أحد تخفضُ رأسها كأنها كائن مستهجن بينهم.

حلَّ الصباح ووصلت سارة إلى مطار دمشقِ الدولي، وهيَ بالكادِ تقوى على المشيِ مُمسكةً بيدها ظرفَ الأوراقِ وبداخلِهِ المال، ثُمَ استقلت سيارةَ أجرة متجهةً نحوَ حيِّ المَّزة في العاصمة دمشق وهي تتهرب من نظرات السائق الذي كان ينظرُ إليها من المرآة ثُمَ قال لها:

- هل أستطيعُ أن أساعدكِ بشيء غير إيصالكِ يا أختي؟ هل آخذكِ للمشفى؟

ابتسمت سارة بخيبة:

- لا أنا بخير.

السيدة وابنتها

مع أولى خيوط المغيب، كانت سيارة سوداء كبيرة، تقودها فتاة شابة إلى جانبها والدتها المسنة.

لفت انتباه السيدة وجود شاب ملقى على الطريق غائبًا عن الوعي أشارت السيدة الكبيرة إلى ابنتها أن تتوقف بجانب الفتى وتعرف ما به فنزلت الابنة من السيارة قائلة:

- يا للمسكين.

تبعتها والدتها ممسكة بيدها قارورة من المياه، أخذت تحاولُ سكب الماء على وجهه ليستيقظ دون جدوى، تساعدا على حملِهِ إلى السيارة وقامتا بنقلهِ إلى المُستشفى حيث أجريت له الفحوصات، أخبرهما الطبيب أنهُ تعرض لأزمةِ نفسية حادة.

صديق قديم

وصلت سيَّارةُ الأُجرة إلى حيِّ المَّزة، نزلت سارة وتوجهت نحوَ أحدِ محلاتِ بيعِ الملابس، قامت بشراءِ معطفٍ لتُغطي الجُروحَ التي في ذراعيها، لكنها لم تستطِع إخفاءَ الآثارِ التي على وجهها، خرجت من المحلِ مُتوجهة إلى أحدِ الأبنية القريبة منه، صعدت الدرجَ ثُمَّ قرعت أحدِ الأبواب في الطابقِ الأول ففتحَ لها رجلٌ في الخمسينِ من العُمرِ، نظَرَ إلى وجهِ سارة الذي كادَ أن يتلونَ كلهُ باللون الأزرق من شدةِ التعذيب ثُمَّ قال:

- سارة!!! ماذا حلَ بكِ؟

اقتربت سارة وعانقتهُ:

- اشتقتُ لكَ يا عمي، لقد تعرضتُ لحادثِ سيرٍ منذُ يومين.

- الحمد للهِ على سلامتكِ، ادخلي يا ابنتي.

دخلت سارة مع الرجُلِ إلى الداخِل، جلست على الأريكة بينما دخلَ هوَ إلى المطبخ وقامَ بإعدادِ القهوة، ثُم جلسا يشربانها، نظَرَت سارة إلى الرجُلِ بحرقة:

- لقد كُنتَ صديقَ والدي المُقرب، وأنا أُريدُ أن تُساعدني من بعدِ إذنكِ.

ابتسمَ الرجُل:

- بالطبعِ سأُساعدُكِ، ماذا ينقصُكِ يا ابنتي؟

- لقد قُلتَ لي ذاتَ يوم أن والدي أورثني كُل ما يملك وجعلَكَ أنتَ الوصي.

- هذا صحيحٌ يا عزيزتي أينَ المُشكلة؟

- المنزِل الذي تسكُنُ فيهِ والدتي وزوجها ملكي أنا؟؟؟

- نعم ملكُكِ أنتِ وعقد المُلكية موجودٌ لديّ.

وضعت سارة فنجانَ القهوةِ على الطاولة التي كانت أمامها، نظرت إليهِ مُتحدثةً بحزم:

- أُريدُهما أن يخرُجا منه، أريدُ أن أسكُنَ فيهِ لوحدي.

استغربَ الرجُل من كلام سارة:

- ألا تريدينَ إكمالَ دراستكِ في بريطانيا؟؟

ردت سارة بحسرةٍ وابتلعت الدموع التي كانت ستسقُطُ من عينيها:

- أظُنكَ قد علمتَ بما حدثَ مع ريم، لقد واجهتُ الكثيرَ من المشاكل ولم أستطع إكمالَ دراستي هناك لذا سأعودُ لأعيشَ هُنا.

قالَ الرجُلُ حزينًا:

- رَحِمها الله، لكن لماذا لا تُريدينَ العيشَ مع والدتكِ؟

- إنها لا تتعاملُ معي كابنةٍ لها أشعُرُ بأنها تكرهُني وزوجها لا يُطيقني.

أخفضَ الرجُلُ رأسهُ كأنَّ الذنب ينتابهُ لأمرٍ ما، قالَ لها:

- سأُخبرُكِ بشيءٍ، لكن لا أريدُكِ أن تغضبي من والدِكِ لأنهُ لم يُخبركِ فهوَ قد ظنَ أنهُ بهذا الشيء سيُسعدُكِ.

- أيُ شيء!!!

- إن فاطمة ليست والدتكِ، إنها زوجةُ أبيكِ، لقد توفيّت والدتكِ عندَ إنجابكِ.

صُدمت سارة من الخبر، بدأت تبكي وهيَ تقول:

- كُنتُ أشعرُ بذلك.

استجمعت قواها وكفكفت دموعها، تحدثت بصوتٍ تملؤهُ غصاتِ البُكاء:

- لماذا لم يُخبرني والدي؟

- لقد أرادكِ والدُكِ أن تكوني كباقي الأطفال، لم يُرد أن تشعري بأنكِ لا تمتلكينَ أمًا، فتزوجَ فاطمة منذُ صغرَكِ لترعاكِ وتكونَ أُمًا لكِ.

- وهيَ لماذا لمْ تُخبرني بهذا بعدَ وفاةِ والدي.

- أظُنها لم تُخبركِ لتبقى هيَ وزوجُها في منزلِكِ ولا تطرُديها عندما تقسو عليكِ.

انهمرت سارة بالبُكاء وهيَّ تقول:

- أن أشعُرَ بالنقص لأن والدتي متوفية خيرٌ لي من أن أظُن أنها والدتي وأشعُرَ بالنقص لأنَ والدتي تكرهُني.

اقتربَ الرجُلُ من سارة، جلسَ بجانبها، وأخذَ يمسحُ دموعها قائلًا:

- ستبقينَ عندي الليلة وفي الغد ستعودينَ إلى منزلِكِ سأعملُ على إخراجِهما اليوم.

دخلَ الرجلُ غُرفةَ نومهُ وأحضَرَ ألبومًا من الصور وأعطاهُ لسارة لتشاهدَ صورَ والدتها الحقيقية وصورَ زفافِ أبويها، فَرِحت سارة بهذا كثيرًا وأمضت اليومَ تتأملُ في صورِ والدتها التي كانتَ تُشبهها كثيرًا.

مع مرور الأيام

مضت سنةٌ ونصف عادت فيها سارة إلى منزلها وأنجبت فتاةً سَمّتها ماري على اسم والدتها، وكانت طفلةً جميلة تُشبهها في كلِ شيء لكنَ عينيها كعيني وَالِدها بالشكلِ واللون.

كانت تعملُ وهيَ في المنزل لتوفيرِ احتياجاتها واحتياجاتِ طفلتها، كانت في الصباح ترعى الأطفالَ الصغار الذينَ كانت أمهاتهم عاملات، في المساء يأتي إليها بعضُ الطلبة وتقومُ بتعليمهم.

كانت تتكلمُ مع ميلا بينَ الحين والآخر لتطمئن عليها وعلى حالِ إدوارد، لكنها كانت أوصتها بألَّا تُخبرَ أحدًا أبدًا بأنها على قيدِ الحياة.

أما إدوارد فكانَ حيًّا بجسدِه، لكنَ قلبهُ وروحهُ قد ماتا عندما علمَ بمقتلِ سارة، حيثُ كانَ يُمضي مُعظمَ وقتهِ في المنزل يعيشُ بينَ ذكرياتهِ وكلَ ليلةٍ قبلَ نومهِ يحتضُنُ ثوبًا من ثيابها ويبقى يتخيلُها حتى ينام وهو فاقدٌ للذةِ العيشِ وطعمِ الحياة.

كانَ يرفضُ رؤيةَ والدتهِ التي كانت قد تتردد إلى منزلهِ مراتٍ عدة دونَ أن تراه، فتعودُ أدراجها خائبةً حزينة وهي تمسحُ دموعها عن خديها لفقدانها حبِّ ابنها الوحيد الذي كانت ترى نورَ الحياةِ من خلالِ عينيهِ.

قرأَ إدوارد خبرَ وفاةِ والدِهِ وإنجلينا بحادث سير أودى بحياتهما في

إحدى الجرائد، فقد اصطدمت سيارة والده بينما كانت إنجلينا ترافقه بشاحنةٍ كبيرة أدت لتحطمها بالكامل، لكنهُ لم يكترث لهذا الخبر ولم يحزن عليهما بسبب العذابِ الذي تسببا بهِ فقد كانا السبب في مأساتهِ التي يعيشها، بعد أن فقد أكَثر من أحب في الدنيا لم يعد يهمه فقد أحد.

وحدة أم

لم يعُد يبقى لوالدةِ إدوار أحدٌ سواهُ بعدَ وفاةِ زوجها، ولم يعُد هناكَ ما تخشاهُ لإخبارِ إدوارد بالحقيقة،

ذهبت نحوَ منزلِه، عندما اقتربت من الوصول رأت سيمون يصعدُ سيارتهُ خارجًا من منزلِ إدوارد، لكنها عندما وصلت إلى أمام المنزل وقرعت الباب لم يفتح لها أحد، لأن إدوارد رأى من النافذة أنَّ والدتهُ من كانت تقرعُ الباب.

سَئمت الوالدة من مُقاطعةِ ابنها لها خصوصًا بعدَ أن كانت إنجلينا أخبرتهُ سابقًا أن والدتهُ من قتلت زوجته، فقررت الوصول إلى سارة وجلبها لهُ بأيِ ثَمَن.

ذهبت إلى الجامعة التي كانت تدرُسُ فيها سارة، طلبت من المُديرِ متوسلةً أن يضعَ إعلانًا يطلبُ فيهِ من الطُلاب أو الطالبات الذينَ يعرفونَ سارة أو يستطيعونَ التواصلَ معها أن يُراجعوا إدارةَ الجامعة.

في اليوم التالي قرأت ميلا الإعلان واتجهت نحوَ مكتبِ الإدارة وطرقت البَابَ ودخلت ميلا:

- مرحبًا سيدي، لقد قرأتُ الإعلانَ في الخارِج ما الأمر؟
- أهلًا صغيرتي، هل تعرفينَ الفتاة سارة الخطيب؟

- نعم، لكن لماذا؟

- هُناكَ سيدةٌ مسكينة تسألُ عنها، اجلسي ريثما تحضُر.

جلَست ميلا مُرتبكة قلقة وهي تؤنب نفسها لأن ما كان عليها القدوم قبل أن تسأل سارة بينما اتصلَ المُديرُ بوالدةِ إدوارد طالبًا منها الحضور.

جاءَت الوالدةُ مُسرعة، دخلتِ الإدارة بلهفة ألقت التحية فرد المدير ثم تركهما لتتحدثا براحتيهما وخرجَ.

نظرت الوالدة إلى ميلا وهي تكاد تبكي قائلة:

- أرجوك يا ابنتي إذا كنتِ تعلمين شيئًا عن سارة أخبريني.

- لكن لماذا؟؟

- أنا والدةُ زوجها وأريد أن أجلبها له حتى يسامحني، فقد نسي بأني أمهُ ظنًا منه بأنني قد آذيتها.

ارتبكت ميلا قائلة:

- أعطني رقم هاتفكِ سيدتي وإن استطعت التواصل معها سأخبرها.

ردت الوالدة متلهفة:

- حسنًا سأعطيكِ إياه لكن أرجوكِ أن تحاولي محادثتها لأجلي.

بعدَ انتهاءِ الدوام اتصلت ميلا بسارة التي كانت مُستلقيةً بجوارِ طفلتها تُداعبُها وتتأملُ عينيها اللتينِ كانت ترى فيهما عيني إدوارد،

أجابت سارة على اتصال ميلا وأخبرتها ميلا بما حدث فطلبت سارة من ميلا أن تُعطي والدة أدوارد رقمَها لتُحدثها إذا أرادت.

أنهت سارة مُكالمتها نظرت إلى طفلتها وتنهدت وهيَ في قمةِ الفرح وأخذت تطبع قبلات لطيفة على خديها:

- هل سنجتمعُ أنا ووالدكِ من جديد؟..كم أتمنى حدوثَ هذا... يااااارب اجمعني به قريبًا.

اتصلت والدةُ إدوارد بسارة بعدَ أن أعطتها ميلا الرقم مباشرةً، أجابت سارة على مكالمتها، ارتجفَ قلبُها فرحًا عندما طلبت منها والدتهُ أن تعودَ لبريطانيا، وأن تطلُبَ من إدوارد أن يسامحها، فقد كانت حزينة تُكلمُ سارة متوسلةً إليها بالقُدوم.

حجزت سارة بأقربِ طائرة مُتجهة إلى لُندن وهي تتراقصُ في أرجاءِ منزلها فرحًا بحلمَ حققهُ لها الله بعد أن قطعت منهُ الرجاء، كانَ موعدُ الرحلة في صباحِ اليوم التالي، جهّزت جوازَ سفرها وجوازُ سفر ابنتها التي كانت تحملَ الجنسيَة البريطانية، كانت سارة أتمت كُل أوراق ابنتها في السفارة البريطانية منذُ فترة وجيزة.

ثُمَّ اتصلت واعتذرت من أُمهات الأطفال الذين كانت ترعاهم، والطلبة الذين كانت تدرسُهُم لأنها ستسافر وستترُك العمل، ولم تستطع النومَ لوقت متأخر من الليلِ وهيَ تتخيلُ اللقاءَ وقلبها ينبضُ شوقًا، وتتذكرُ ذكرياتِ الماضي الجميلة غير مصدقة من أنها ستراه ثانيةً وستنظرُ إلى عينيه بعد كل هذا الغياب.

في الصباح استيقظت بحيويةٍ ونشاط، ودموعُ الفرحِ تلمعُ في عينيها، ألبست طفلتها الصغيرة التي كانَ عُمرُها لا يتجَاوز السنة فستانًا زهريّ اللون، كانت ترتدي فستانًا زهريًا أيضًا، خرجت تحملُ ابنتها بيد وتمسكُ باليدِ الأُخرى حقيبةَ السفر، استقلت سيارةَ أُجرة متوجهةً نحوَ المطار.

وعندما وصلت سارة وطفلتها إلى مطارِ لندن كان باستقبالهما ميلا ووالدة إدوارد، عانقت ميلا سارة عناقًا حميميًّا طويلًا وهما يهمسانِ لبعضهما بكلماتِ الشوق.

نظرت سارة إلى والدةَ إدوارد، ألقت عليها التحية، اقتربت والدةُ إدوارد من الطفلة وقبلتها من خدها وهيَ تمسحُ على رأسها وقالت:

- إنها ابنتكِ وابنةُ إدوارد أليسَ كذلك؟

ارتبكت سارة فهيَ كانت تخشى على ابنتها من كُلِ شيء وقالت بتردد:

- نعم.

صعدَ الجميعُ سيارةَ والدةَ إدوارد واتجهوا نحوَ منزل إدوارد، وقلب سارة يكاد يخرج من صدرها شاكرة الله على فضله.

كانَ سيمون جالسًا مع إدوارد في المنزِل يتناولان الطعام، لا يعلمُ شيئًا عمَّا يحدث فميلا لم تخبره لتكون هذه مفاجأة سعيدة لإدوارد بعد كل ما عاناه.

قال سيمون معاتبًا إدوارد:

- إلى متى ستبقى هكذا يا صديقي...هل ستمضي عمرك على هذه الحال؟ انظر للحياة من جديد.

رد إدوارد متنهدًا:

- أرجوك سيمون إن حياتي هكذا تعجبني.

سيمون:

- حسنا سأصمت لا تغضب.

عودة للحياة

وصلت السيارة إلى أمام المنزل، بقيّت والدةُ إدوارد فيها، بينما نزلت سارة وميلا، وقفت سَارة والفرحُ يغمُرها أمامَ البابِ مباشرةً وهي تتأملُ المنزلَ الذي عاشت فيهِ أسعد اللحظاتِ، طلبتَ من ميلا أن تحملُ طفلتها فحملتها ميلا وكانت واقفةً خلفها مباشرةً.

قرَعت سارة الباب، نَظَرَ إدوارد إلى سيمون قائلًا:

- انظر من النافذة وإن كانت والدتي لا تفتح.

نظرَ سيمون من النافذة فرأى ميلا واقفة ومعها طفلة صغيرة بيضاء البشرة تداعبها، فأخبرَ إدوارد بما رأى مُستغربًا وذهبَ ليفتح الباب وهوَ يمسِكُ بيدهِ كأسًا من العصير.

فتحَ سيمون الباب وصرَخَ عندما رأى سارة، عادَ خطوات للخلف موقعًا الكأسَ من يدِهِ، اتجهَ إدوارد مُسرعًا نحوَ الباب ليرى ما حدث، رأى سارة فلم يقو فمهُ على النطقِ بالكلام، اقتربَ منها، أخذَ يمسحُ على شعرِها ووجهها وجسدها وهوَ يقول:

- إنها حقيقة!!!.

كانت سارة تنظُرُ إلى إدوارد وعيناها تدمعانِ فرحًا بينما سيمون لا يزالُ واقفًا كالتمثال.

نَظرَ إدوارد إلى عيني سارة ثُمَّ عانقها بقوةٍ حتى كاد يحطمُ أضلاعها

من قوةِ العناق، كانت الدموعُ تتساقطُ من عينيهِ من الفرح وهو يقول: الحمدُ لله العظيم ولي النعم.

بينما كانت سارة تعانقهُ وهيَ تبكي فرحًا وإدوارد ينظُرُ إليها وهوَ لا يصدقُ أنها بينَ يديه.

كانَ عناقًا طويلًا يُبدد ألمَ البُعدِ والفراق، يروي قليلًا من عطشِ القلوب الظمأى، ويحكي قصةَ شوقٍ طويلةٍ جدًّا.

ابتعدت سارة بلطف عن إدوارد الذي لم يكن يقوى على الابتعادِ عنها، نَظَرت إلى سيمون واقتربت منهُ وعانقتهُ وهو مصدومٌ يقولُ: كيفَ حدَثَ هذا؟؟؟.

بينما نظرت ميلا وعيناها تدمعان إلى إدوارد الذي كانَ مازالَ ينظُرُ إلى سارة دونَ أن يُحركَ ناظرهُ عنها، ثُمَّ نقرت عل كتفهِ وابتسمت لهُ قائلة: ألا تُريدُ أن ترى طفلتكَ الجميلة؟.

نَظَرَ إدوارد بدهشةٍ إلى ميلا والطفلة:

- طفلتي!!

ميلا:

- أجل طفلتُكَ.

أمسكَ إدوارد الطفلة، أخذَ يحَضُنها ويقبُها ويشمُ رائحتها وينظُرُ إليها والدموعُ تتساقطُ من عينيه اقتربت منهُ سارة وعانقتهُ هوَ والطفلة معًا.

في حين كانت والدةُ إدوارد تراقبُ اللقاءَ الذي كانت تخشعُ لهُ النُفوس وهيَ تبكي.

دخلَ الجميعُ إلى المنزل، استأذنت سارة بالخُروج لكنَ إدوارد لم يسمح لها أن تخرجَ وحدها، خرجَ معها من خوفهِ عليها بعدَ كُلِ ما عاناه في بعدها.

توجهت سارة نحوَ سيارةِ أُم إدوارد وإدوارد يمشي بجانبها واضعًا ذراعهُ خلفَ كتفيها مُقربًا إياها منهُ وقامت بإنزالها من السيارة وهيَ تُمسكُ يدها، نظرت إلى إدوارد قائلة: أنا بفضلها الآنَ أتنفس.

اقتربت الوالدة من ابنها، أخذت تعانقهُ كما عانقها باكيًا راجيًا منها السماح، نظرت أم إدوارد إلى سارة اقتربت منها وعانقتها وهيَ تقول:

- لم يهبني الله ابنةً لكنكِ ستكونينَ ابنتي.

جَلَسَ الجميعُ في منزلِ إدوارد وسارة التي كانت تُخبرهُم هيَ ووالدة إدوارد عمّا حدثَ في تلكَ الليلة.

كانَ الجميعُ سُعداء فإدوارد يحضُنُ سارة واضعًا رأسها على صدرهِ وميلا تحضنُ سيمون بينما كانت والدةُ إدوارد تُداعبُ الطفلة الصغيرة.

وانتصر الحب

طلبَ إدوارد من أُمهِ أن تبيعَ جميعَ ممتلكاتِ والده وأن تسافرَ معهُ ومع سارة للإقامة في سورية، فهوَ كانَ يخشى على سارة وابنتهِ من البقاء في بريطانيا بعد ما حدث.

فوافقت الوالدة على طلب ابنها وهيَ مسرورةً بذلك واتفقت سارة وإدوارد أن يُحققا حلمهُما ويُكملان دراستَهَ الطبِ في أحدِ الجامعات الخاصة هناك، بينما تكفلت والدةُ إدوارد بالاعتناءِ بالطفلة الصغيرة.

فالإرادةُ عندما تجتمعُ مع حبٍ صادق تحقق المستحيلات، والحبُ دومًا هو المنتصر فلا عقلانيةَ معَ الحب ولادينَ معهُ ولا طائفة ولا عقيدة.